وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثلجي-الأغواط-

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية
قسم : العلوم الانسانية

العنـــوان:

الفكر التحرري في تونس والمغرب الأقصى
عبدالعزيز الثعالبي وعلال الفاسي انموذجا
(1881-1937م)

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

من إعداد الطالبين :
- محمد ميزات
- مسعود معاش

إشراف الأستاذ :
كمال مايدي

السنة الجامعية
1436-1437هـ 2015-2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الشكر

كلمة شكر

"وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما"

أولا وقبل كل شيء أحمد الله عز وجل على توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل حمدا يليق بجلاله وعظمته.

أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف "كمال مايدي" على توجيهاته القيمة التي قدمها لنا، وعلى سعة صدره وأرجو من المولى عز وجل أن يثيبه خير الثواب

"لايشكر الله من لم يشكر الناس " ،من هذا الباب علينا أن نتوجه بكلمة شكر الى كل الذين ساهموا من قريب او بعيد في انجاز هذا العمل و لو بكلمة طيبة ، ونخص بالذكر أساتذتنا الكرام، فالشكر الجزيل و العرفان و التقدير لكل هؤلاء.

الإهـــداء

إهداء

إلـى

أمـــي الغالية، أبـــي العزيز

زوجتي رفيقة دربي وإبنتي قرة عيني "بشرى"و"مريم"

إلى أخواتي وإخوتي وكل العائلة

إلى روح جدتي الغالية "الحاجة خيرة" و أخي العزيز "بلقاسم بحطيطة"

رحمة واحتساباً

إلى كل الأصدقاء والزملاء

إلى كل من ساهم في إتمام هذه المذكرة

من قريب أو بعيد

محمد ميزات

إهداء

إلـى

الوالد الكريم و الوالدة العزيزة شفاها الله

خطيبتي رفيقـة دربـي

كل أخواتي وإخوتي

إلى صديقي محمد ميزات

إلى كل أصدقائي وزملاء المهنة في متوسطة نكاع عبد القادر

مسعود معاش

قائمة المختصرات

1.المختصرات بالعربية:

تر	ترجمة
تح	تحقيق
(د.ت)	بدون تاريخ
ص	الصفحة واحدة
ص ص	صحفات متتالية
ط	طبعة
ج	الجزء
ألمج	مجلد
ع	العدد

2.المختصرات باللغة الأجنبية:

P	Page
PP	Page Contune
OP-CIT	Ancien no de Référence (Dans l'ouvrage cité)

مقـــدمة

تعرضت بلدان المغرب العربي لسيطرة الإستعمار الفرنسي مستغلة الظروف التي كانت تعانيها هذه الدول، فبعد أن ثبتت وجودها بالجزائر سنة 1830 بإحتلال مباشر، سعت جاهدة لتبسط نفوذها في كل من تونس والمغرب الأقصى وإعتبرتهما مجال حيوي لها، ودافعت عن مصالحها في الدولتين، ومع تنامي النظام الرأسمالي ومنطقه التوسعي من جهة، وضعف الدولة العثمانية من جهة أخرى، سعت القوى الإستعمارية خاصة فرنسا وبريطانيا إلى تقسيم أراضي الدولة العثمانية بعد مؤتمر برلين 1878م، فكانت أنظار فرنسا نحو تونس التي كانت تعاني من عجز تجاري وتقلص المداخيل وتزايد مصاريف المديونية ما جعل فرنسا تفرض نظام الحماية على تونس بموجب معاهدة باردو في 12 ماي 1881، وبها أصبحت تونس محمية فرنسية وقضت فرنسا على سيادة الباي وسلطته على تونس، وزاد نفوذ المقيم العام الفرنسي وأصبح المسير الفعلي لتونس.

بعد مرور أكثر من ثلاثين سنة من فرض الحماية على تونس جاء الدور على المغرب الأقصى الذي لم تختلف أوضاع إحتلاله عن أوضاع إحتلال تونس سوى بعدم تبعيته للدولة العثمانية، فقد أرغم سلطانه على توقيع معاهدة الحماية بتاريخ 30 مارس 1912 وطبقت فرنسا نفس السياسة التي طبقتها على تونس وهذا بتجريد السلطان المغربي من صلاحياته وسلطاته، وأضحت في يد المقيم العام، كما نلاحظ أن المغرب تعرض لإستعمار مزدوج فرنسي إسباني، وكلاهما لا يختلف عن الآخر.

تولدت نتيجة لفرض الحماية على تونس والمغرب الأقصى رد فعل قوي من الشعب كانت في شكل مقاومة مسلحة في بداياتها، لم تحقق أهدافها، وسرعان ما تبلورة على شكل حركات وطنية برز فيها زعماء قادوا حركة النضال من أجل التحرر وتحقيق الإستقلال.

أسباب إختيار الموضوع :

كانت هناك أسباب عديدة جعلتنا نختار هذا الموضوع أهمها :

- طبيعة التخصص الذي درسناه في الماستر كان حول المغرب العربي الحديث والمعاصر، ولد لدينا الرغبة في معرفة أبرز زعماء وأقطاب الفكر التحرري في تونس والمغرب الأقصى وكان على رأسهم عبد العزيز الثعالبي في تونس وعلال الفاسي في المغرب الأقصى، ليتسنى لنا معرفة مناهج، أساليب وأسس نضالهما ضد الإستعمار من أجل تحقيق الحرية والإستقلال لبلديهما.
- الإنجازات التي قام بها زعماء النضال التحرري سواءا داخل بلدانهم أو في باقي بلدان المغرب العربي.

أهمية الموضوع :

نظرا لأهمية الفكر التحرري في الحركتين الوطنيتين التونسية والمغربية في مواجهة الوجود الإستعماري، ومن باب أن الشيء بالشيء يذكر، فإنه لا يمكن التطرق للفكر التحرري في الحركتين الوطنيتين التونسية والمغربية إلا عن طريق قادة وزعماء هذا الفكر، ومن أكبر زعماء هذا الفكر نجد علال الفاسي في المغرب وعبد العزيز الثعالبي في تونس، فمن هنا قادتنا رغبتنا في دراسة فكرهما ، مناهجهما التربوية والإصلاحية وإسهاماتهما في تحرير بلديهما من الوجود الإستعماري، بالرغم من الصعوبات التي واجهتهما.

إشكالية الموضوع :

تتمثل إشكالية الموضوع في: كيف برز الفكر التحرري في تونس والمغرب الأقصى 1881-1937 من خلال تتبع فكر الزعيمين عبد العزيز الثعالبي وعلال الفاسي، وجهودهما في مواجهة الوجود الإستعماري ؟

كما تتضمن الإشكالية جملة من التساؤلات منها:

- ماهو دور التجديد والإصلاح في فكر الرجلين؟ وما مدى تأثرهما بالفكر الإصلاحي بالمشرق العربي؟
- أبرز المرجعيات الفكرية لدى الرجلين؟
- وضح المنهج النضالي لدى الرجلين؟
- كيف كان جهادهما من أجل تحرير بلديهما من الإستعمار؟
- إلى أي مدى حقق نضالهما خدمة لوطنيهما؟
- ما موقف الإستعمار من نضال الزعيمين؟ وما هي ردة فعله إتجاههما؟

الإطار الزماني والمكاني للبحث :

إن فترة الموضوع الم راد دراوسته ممتدة ما بين سنة 1881م إلى 1937م، وهي الفترة التي عرفت وقوع البلدين تحت الحماية، وبدأت تظهر ردة الفعل الشعبية من هذه الحماية لتتطور بظهور الحركة الوطنية في البلدين وبرز في هذه المرحلة زعماء كان لهم دور في تحرير بلديهما ومن أبرز هذه الشخصيات عبد العزيز الثعالبي في تونس وعلال الفاسي في المغرب اللأقصى.

فالسنة الأولى 1881 هي فترة بداية الحماية على تونس، ليعرف المغرب الأقصى فيما بعد فرض الحماية سنة 1912.

أما سنة 1937 تعتبر محطة حاسمة في تاريخ تونس والمغرب وفي حياة الزعيمين، فتمثل هذه السنة دخول عبد العزيز الثعالبي إلى تونس بعد غياب طويل، وفشله في لم صفوف حزبه ما جعله يترك الحياة السياسية، أما فيما يخص علال الفاسي فهذه السنة تمثل إبعاده عن الحركة الوطنية المغربية بنفيه إلى الغابون، وبقاءه بعيدا عن وطنه، مما قلص من نشاطه إلى غاية سنة 1946 أين تم إطلاق سراحه حيث واصل ناضله من خارج وطنه كممثل دبلوماسي لقضية بلده.

المنهج المعتمد :

إعتمدنا لدراسة هذا الموضوع منهجين معروفين في مجال الدراسات التاريخية وهما:

- أولا المنهج التاريخي الوصفي: وهذا بتتبع وسرد الأحداث التاريخية ووصفها وتصنيفها حسب تسلسلها الزمني.
- ثانيا المنهج التحليلي: إستخدمناه في دراسة الوقائع وتحليلها وتفسيرها وربطها ببعضها البعض بهدف الوصول إلى إستنتاجات جزئية.

خطة البحث :

لدراسة موضوع هذا البحث والإجابة عن الإشكالية والأسئلة التي يتضمنها إعتمدنا على خطة تتكون من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة وملاحق لها علاقة بالموضوع مرتبة كما يلي :

الفصل الأول ، الأوضاع العامة في تونس والمغرب الأقصى (1881-1937م) تناولنا فيه الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية في البلدين من خلال التطرق إلى السياسة الإستعمارية سواء من فرض لنفوذها وتقليص سلطة حكام البلدين، والسيطرة على الشؤون الإقتصادية وتجريد الشعب من ممتلكاته وتشجيع للإستيطان وعرقلة التعليم، وجعله يرتبط بثقافة المستعمر.

أما **الفصل الثاني** فقد تطرقنا فيه إلى **الفكر التحرري في تونس من خلال شخصية عبد العزيز الثعالبي** ، فتناولنا فيه فرض الحماية وكيف كان رد فعل الشعب منها، وعرفنا فيه جذور الفكر التحرري في تونس، وكيف تبلور النضال التحرري في الحركة الوطنية التونسية.

وفيه عرفنا نشأة وتكوين عبد العزيز الثعالبي وتحصيله العلمي وآثاره التي تركها وتناولنا كذلك المنهج النضالي عند عبد العزيز الثعالبي ودوره في تحرير تونس من خلال أفكاره، وعرفنا كيف كان موقف سلطة الحماية من نشاطه.

أما **الفصل الثالث** فتطرقنا فيه إلى **الفكر التحرري في المغرب الأقصى من خلال شخصية علال الفاسي** ، وفيه تناولنا فرض الحماية وردة فعل الشعب منها، كما تطرقنا إلى جذور الفكر التحرري في المغرب الأقصى وكيفية تبلور النضال التحرري في الحركة الوطنية المغربية.

كما تعرفنا في هذا الفصل على نشأة وتكوين وتعليم علال الفاسي وذكر بعض آثاره، ثم تطرقنا لمعالجة المنهج النضالي لعلال الفاسي ومعرفة دوره ونشاطه في تحرير المغرب من الحماية الفرنسية والإسبانية، وكذالك تطرقنا لموقف الإستعمار من نشاط الفاسي.

ينتهي البحث بخاتمة تتضمن النتائج التي تم التوصل إليها من خلال النقاط التي عالجناها للإجابة عن الإشكالية المطروحة.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة :

إعتمدنا في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع وكان أهمها المصادر التي ألفها الزعيمين والتي تضمنت أفكارهما ومواقفهما في الكثير من المسائل خاصة ما تعلق بجوانب الكفاح ضد الوجود الإستعماري.

فنجد بالنسبة لعبد العزيز الثعالبي كتابه " **تونس الشهيدة** " الذي كتبه باللغة العربية وترجمه للفرنسية أحمد السقا، في هذا الكتاب فضح و إستعراض للسياسة الفرنسية في تونس ويوضح ما وصل إليه الوضع، ويقدم فيه الثعالبي مطالب الشعب التونسي.

وكذلك كتاب "**روح التحرر في القرآن**" الذي يتضمن الكثير من أفكاره.

وفيما يخص مؤلفات علال الفاسي فنجد أهم كتاب " **الحركات الإستقلالية في المغرب العربي** " الذي كتبه سنة 1948 وهو عبارة عن تقرير من طرف الفاسي لجامعة الدول العربية وفيه إستعراض لواقع المغرب العربي خاصة بلده المغرب الأقصى لوفرة المعلومات عند المؤلف بالإظافة إلى كتابه "**النقد الذاتي**" يوضح فيه الفاسي مشروعه الإصلاحي في جميع الميادين، وكذلك كتاب " **المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى**"، وكتاب "**دفاع عن الشريعة**" ونظرا لكون علال الفاسي غزير الإنتاج الفكري فقد إعتمدنا على جزء كبير من مؤلفاته والتي تعبر عن فكره.

أما المراجع فهي كثيرة ومتعددة أهمها كتاب "**جذور الحركة الوطنية التونسية**" لعلي محجوبي، وكتاب أنور الجندي "**عبد العزيز الثعالبي رائد الحركة والنهضة**"، وكتاب الطاهر عبد الله " **الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة** "، وكتاب يوسف مناصرية " **دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين** "، وإعتمدنا كذلك على كتاب " **عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب**" لصالح خرفي.

وعن المراجع التي ساعدتنا في الدراسة الخاصة بعلال الفاسي نجد كتاب "**علال الفاسي رائد الحركة الوطنية المغربية** " لمحمد العلمي، وكتاب عبد الكريم غلاب " **ملامح من شخصية علال الفاسي** " وكتاب "**الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية علال الفاسي**" للمرنيسي.

الصعوبات :

من أهم الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا التعامل مع المصادر وبالخصوص المصادر التي كتبها الزعيمين عبد العزيز الثعالبي وعلال الفاسي، جعلتنا أمام كم هائل من المادة العلمية صعب علينا التحكم فيها نظرا لتداخل الآراء والأفكار فيها.

الفصل الأول

الأوضاع العامة في تونس والمغرب الأقصى (1881-1937)

1. الأوضاع السياسية
2. الأوضاع الإقتصادية
3. الأوضاع الإجتماعية
4. الأوضاع الثقافية

منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 أصبحت فرنسا تطمح إلى توسيع مجال نفوذها في باقي البلدان المغاربية، ففرضت الحماية على تونس سنة 1881 وبعدها المغرب الأقصى سنة 1912 وسعت إلى السيطرة على جميع مفاصل الحكم في الدولتين من خلال تطبيق مجموعة من السياسات الإقتصادية والسياسية والإجتماعية والثقافية لضمان مصالحها في البلدين.

المبحث الاول : الاوضاع العامة في تونس :

1- الأوضاع السياسية في تونس :

عرفت تونس في فترة ولاية محمد الصادق باي (1859-1881) تغيرات حاسمة فقد حاول إصلاح وضع البلاد وهذا بإجماع عدد كبير من المؤرخين على أنه كان منذ البداية عاقد النية على الإصلاح إلا أن فشل هذه الإصلاحات تعود إلى المقربين للباي الذين ألقى إليهم بمقاليد الأمور فأساءوا التصرف وعلى رأسهم وزيره الأكبر مصطفى خزندار الذي إنقاد إليه الباي بشكل كامل ، مما أدى إلى عجز مالي في تونس لهذا لجأت الحكومة لسده عن طريق مضاعفة الضرائب على الأهالي واللجوء إلى الاقتراض من الأجانب بأرباح كبيرة، هذا ماجعل إندلا ع ثورة بن غداهم 1864 على التسيير الظا لم في حق الأهالي واثقال كاهلهم بالضرائب.

وكانت تولية خير الدين التونسي* وزيرا أكبرا سنة 1873 فاتحة عهد جديد ، فقد قام بعلاج المشكلات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والقضائية التي كانت تعاني منها البلاد ، فألغى الضرائب التي كان يشكو منها الشعب [1]. فالواضح أن خير الدين كان مقتنعا بأن النظم السياسية والاقتصادية السائدة في أوربا الغربية في عصره هي التي ستؤدي إلى إزدهار الأقطار على إختلاف مواقعها وأدياتها[2]، ولذا ينبغي على الأمة الإسلامية أن تقتبسها[3] وفي سنة 1877[4] وبعد أربع

---

1 – شوقي عطاءالله الجمل، **المغرب الكبير في العصر الحديث ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب**،مكتبة الإنجلو المصرية، مصر، 1977، ص124.

2 – سمير أبو حمدان، **خير الدين التونسي**، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1993، ص46.

3 – أحمد عبد السلام، **مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1987، ص149.

4 – نور الدين صحراوي، **النفوذ الأوربي (الفرنسي، الإنكليزي، الإيطالي) في تونس 1857-1881**، أطروحة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجزائر، 2013، ص120.

* – خير الدين التونسي (1820-1890): مملوك شركسي إشتراه أحمد باي من إسطنبول، تولى العديد من المناصب والوزارات في تونس، وأصبح وزيرا أكبر سنة 1873، قام بإصلاحات في تونس، غادر تونس إلى الأستانة أين تم تعينه صدرا أعظما في الدولة العثمانية. للمزيد أنظر، محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982، ص271 .

سنوات من توليته الحكم طلب الإعفاء بسبب الدسائس والمؤامرات ضده ، خاصة من مصطفى بن إسماعيل الذي تولى الوزارة مكانه وبدأت النكسة التي أصابت تونس وأصبحت البلاد مثل مركب فقد قائده في حين كانت الدول الإستعمارية الطامعة تسير الأمور لتحقيق أهدافها حتى تهيأت الظروف لفرنسا التي سعى ساستها لضم تونس والتي إعتبرتها منطقة نفوذها [1]، فإختلقت فرنسا الأسباب وأثارت الإضطرابات على الحدود التونسية الجزائرية، فإغتنمت فرصة توغل مجموعة من قبائل بني خمير في التراب الجزائري في 16 فيفري 1881 إضافة إلى إصطدامات بين فرنسا والقبائل التونسية [2] فزحف عل إثرها جيش فرنسي بتعداد 30 ألف جندي من الشرق الجزائري أواخر أفريل 1881 بإتجاه الأراضي التونسية بدون سابق إنذار وفرضوا على الباي في 12 ماي 1881معاهدة الحماية * التي قضت على إستقلال الدولة التونسية بصفة رسمية.[3]

ثار التونسيون ضد الإستعمار من أول يوم دون أن ينتظروا الإشارة من أحد ونجحت في مواقع كثيرة خاصة بعد إنعقاد الإجتماع الهام للقبائل الرافضة للإحتلال في جامع عقبة بن نافع بالقيروان في 15 جوان 1881[4]، فهذه الثورات شملت اغلب أنحاء البلاد التونسية ودارت مواجهات عديدة في القيروان وسوسة وقابس وفي الساحل ، والقلعة وصفاقس ... وإستمرت المعارك في الجنوب التونسي حتى عام 1910[5]، فشلت بعد أن ضاعفت قوات الغزوا اعدادها وأرسلت حملة عسكرية جديدة مؤلفة من 45 ألف جندي تمكنت من القضاء على الثورة الشعبية وإتمام إحتلال البلاد ، ولم يعبر عن هذه الملاحم البطولية التي خاض ها الشعب التونسي إلا الشعراء الشعبيون ، وإذا بحثنا عن تاريخ الكفاح الشعبي فلن نجد له أثر إلا عند هؤلاء الشعراء الشعبيين[6] .

---

1 – محمد بن الفاضل بن عاشور، **الحركة الأدبية والفكرية في تونس**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص23.

2 – عبد الجليل التميمي، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي 1859–1882**، مؤسسة التميمي للبحث، تونس، 1995، ص213.

* – الحماية Le protectorat : هو نظام إستعماري ظهر بعد مؤتمر برلين 1878، يجعل دولة تحت وصاية دولة أجنبية، مع إبقاء السلطة الموجودة في الدولة المفروض عليها الحماية. للمزيد أنظر، يوسف مناصرية، **الحزب الدستوري التونسي1919–1934**، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1988، ص21.

3 – محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من عصور ماقبل التارخ إلى الإستقلال**، تر محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص97.

4 – عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص97.

5 – أنور الجندي، **عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1984، ص37.

6 – الطاهر عبد الله، **الحركة التونسية رؤية شعبية قومية جديدة**، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1975، ص28.

لم يغفل الشعب التونسي منذ بداية الحماية عن المق اومة السياسية التي عرفت بالحركة الوطنية وشهدت تطورات كثيرة إذ نجدها في الأعوام الأولى التي أعقبت الحماية على شكل إحتجاجات في الميدان بسبب إقصائها ، وكانت الطبقة المثقفة من يمثل هذه الحركة ، فإستخدم الشباب التونسي لثقافتهم التي تعلموها خاصة في فرنسا لأجل إثبات وضعية بلادهم [1]، وقد بدأت النخبة في نضالها بالنهوض بالمجتمع وذلك من خلا ل الإصلاح الديني والإجتماعي والثقافي [2]،و من جهة أخرى كان الإقتناع سائد لدى النخبة أن المواجهة المباشرة مع الإستعمار في تونس آتي لاريب فيها ، ولكن خوضها والأوضاع على ماهي عليه عملية ميؤوس من نجاحها، وإرتكز عمل النخبة على ثلاثة عناصر الصحافة، التعليم والعمل الجمعياتي[3].

ومن أبرز رجال الحركة الوطنية في بدايتها كانوا خريجي المدرسة الصادقية أمثال بشير صفر و محمد السنوسي وعلي باشا حانبه وكانو مدعومين من رجال الإصلاح بجامع الزيتونة وعلى رأسهم الشيخ سا لم بوحاجب[4].

مع مطلع القرن العشرين تغيرت الاوضاع بسبب ظروف الحماية وبدأ الوعي لدى الشباب التونسي يتجه نحو العمل السياسي التنظيمي ، فالحركة الوطنية التونسية لم تظهر في بداية الأمر منظمة[5] ، إلا بعد أن تأسست سنة 1907 أول حركة سياسية منظمة لمقاومة الإستعمار في تونس بقيادة علي باشا حانبه وعبد العزيز الثعالبي ومحمد باشا حانبه، متأثرة بحركة "تركيا الفتاة "، وتمتعت هذه الحركة بشعبية و تأييد كبيرين ،[6] وبعد أحداث الزلاج والترام إستغلها الإستعمار وحمل زعماء الحركة الوطنية المسؤولية، وتم إعتقال وإبعاد علي باشا حانبه وعبد العزيز الثعالبي و الشاذلي درغوث و علي باشا حانبه ... وتم منع جريدة التونسري لسان حال الحركة من الصدور ، وقد ساهم هذا الوضع

---

1 – شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير (القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية)**، تر، المنجي سليم وآخرون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، 1976،ص ص88-89.

2 – جلال يحي، **العالم العربي الحديث والمعاصر الفترة الواقعة بين الحربين**، ج2، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2010، ص698.

3 – مجموعة من المؤلفين، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (مقاربة 1881–1964)**، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس، 2008، ص100.

4 – حسن حسين عبد الوهاب،**خلاصة تاريخ تونس**، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1953، ص161.

5 – الحبيب ثامر، **هذه تونس**، مطبعة دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988، ص ص137-138.

6 – الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص40.

في إدخال الحركة الوطنية التونسية في حالة ركود تام إلى مابعد نهاية الحرب العالمية الأولى[1].
وبعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها أرسل " أحمد السقا " إلى مؤتمر الصلح ليعمل على نشر القضية التونسية وهذا أواخر سنة 1918.[2]

عملت السلطات الإستعمارية بعد إنتصاب الحماية بتونس بالهيمنة السياسية على جميع السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، وهذا بعد إلتزام الحكومة التونسية بمقتضى إتفاقية المرسى في 08 جوان 1883 بإجراء إصلاحات داخلية من إدارة وعدل ومالية التي تمليها فرنسا وتراها مناسبة [3]، فبدأ الباي يفقد سلطته تدريجيا لفائدة الوزير المقيم الفرنسي، الذي أضحى المسؤول الفعلي عن إدارة البلاد التونسية فلا يتخذ أي قرار ولا ينفذ إلا بعلمه وموافقته، كما إستطاعت سلطة الحماية بسط نفوذها على الإدارة المحلية إلى جانب الإدارة المركزية بحيث أبقت على الجهاز الإداري القديم وإختارت مستخدمي الإدارة المحلية من قياد وخلفاء ومشائخ يدينون بالولاء لفرنسا، وتم تعيين على رأس كل من إدارة المال والأشغال العامة والتعليم العمومي والفلاحة مديرون فرنسيون ، بإستثناء مناطق أقصى الجنوب.[4]

ويذكر عبد العزيز الثعالبي في كتابه تونس الشهيدة "وهكذا وجدنا أن ليس لنا غير أمير من وهم غير مسؤول ، القوانين مستبدة تمليها عليه الحكومة الفرنسية ، التي نحس بوجودها دون أن نراها ، وهي أجنبية ليس لها مبرر شرعي وطني ، نعم وجدنا أنفسنا تجاه شبحين لا ندركهما وهما فوق ذلك غير مسؤولين والأبشع من ذلك لقد بات الباي حسب النظرية الجديدة غير مسؤول أمام الشعب التونسي والحكومة الفرنسية التي يمثلها المقيم العام هي أيضا غير مسؤولة أمام هذا الشعب وذلك راجع إلى الإتفاقيات القضائية التي كانت بينها وبين الباي فقط ... ويهيمن على الإدارة التونسية العملاء الفرنسيون الذين هم صورة البلي الذين يمثلونه وعلى صورة المقيم العام القائم على سلطات رئيس الجمهورية ... "[5].

---

1 – علي محجوبي، **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين**، ج2، منشورات الجامعة التونسية، تونس،1986، ص15.

2 – علال الفاسي، **المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى**، منشورات علال الفاسي، المغرب، 2010، ص102.

3 – حسن حسين عبد الوهاب، المرجع السابق، ص170.

4 – علي محجوبي، المرجع السابق، ص100.

5 – نقلا عن عبد العزيز الثعالبي، **تونس الشهيدة**، تر، سامي الجندي، دار القدس ، لبنان، 1975، ص34.

وبهذه الحماية اصبحت تونس خاضعة لهذا الامر الواقع ولتحولاته العميقة ، أصبحت القوانين والاجراءات أشد وطأة وقسوة على كل مكونات الشعب التونسي، في حين هذه الاجراءات والقوانين كانت في خدمة الكتل البشرية الاوربية التي استوطنة في تونس خاصة بعد فرض الحماية .

2- الأوضاع الإقتصادية في تونس :

عرفت السياسة الإقتصادية في تونس قبل الحماية منح إمتيازات وتسهيلات للدول الأوربية عامة وبالخصوص فرنسا هذا ما أدى إلى توافد الأوربيين إلى تونس وتدفق معهم رؤوس الأموال التي إستثمروها لصالحهم [1], وبعد إنتصاب الحماية بدأ الإستحواذ على مصادر الثروات التونسية من طرف الإستعمار مما أثر سلبا على أصحاب الأرض الشرعيين وهذا ما سنتعرض إليه في دراسة حالة القطاعات الإقتصادية .

أ – الفـــلاحة :

قبل الحماية كانت تونس شهيرة بخصوبة أرضها التي يسقيها جهاز ري واسع وغزير، ولقد كان لموقعها على مفترق الطرق الإقتصادية العالمية الكبرى أهمية، فهي بلد زراعي قبل كل شيء، هذا ماجعلها محط أطماع الدول الكبرى[2].

وقد قدر الثعالبي في كتابه تونس الشهيدة الأراضي الزراعية 9 مليون هكتار يقطنها مليونان من السكان تقريبا وكانت كل هذه الأراضي آهلة بملكيات مختلفة الصفة من أملاك خاصة إلى أملاك جماعية إلى حبوس (أوقاف) عامة وخاصة، وبعد إنتصاب الحماية بنية الإستراتيجية الإستعمارية على مصادرة هذه الأراضي وتهجير أصحابها، وهذه المصادرة كانت وفقا لقانون يسمح بتحويل الأملاك العامة إلى أملاك المستوطنين، وهو القانون العقاري الصادر سنة 1885، وقانون 1890، وهذه السياسة القائمة على الإستيلاء ، ونهب أكبر مساحة من الأراضي تدخل في إطار المنافسة الفرنسية الإيطالية، فالملاحظ أنه ومنذ بداية الإحتلال كانت القوانين تصدر من طرف الدولة المستعمرة لصالح الفلاحين الفرنسيين فتكونت برجوازية فلاحية كبيرة .

---

1 – عبد الرحمان التشايجي، **المسألة التونسية والسياسة العثمانية(1881–1913)**، تر، عبد الجليل التميمي، دار الكتب الشرقية، تونس،1973، ص39.

2 – عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص88.

وهكذا إستمرت عمليات إغتصاب الأراضي في الثلث الأول من القرن العشرين مما ضاعف من ملكيات الأوربيين، فأصبح المزارع الأوربي يملك 250 هكتار بينما لا تملك الأسرة التونسية سوى 6 هكتار[1].

وبمقتضى أمر المؤرخ في 13 جانفي1896 الخاص بإلحاق الأراضي البور الى أملاك الدولة، فأخذت سلطة الحماية على عاتقها تحديد الأراضي البور ، وأصبحت تدخل ما تشاء من الأراضي في هذا النوع معتدية بذلك على ملكية الأفراد تحت هذا الستار ، وقد عمدت فرنسا الإستيلاء على أراضي الغابات والأحراش الشاسعة وهذا بإدخالها ضمن أملاك الدولة الخاصة والهدف في ذلك يكمن في مصادرة الأراضي الزراعية المجاورة لها بعد تحديد هذه الغابات وكان لايمكن قبول أي دعوى قضائية تتعلق بحق الملكية بعد إتمام التحديد وكانت عملية تحديد الغابات تتم في الخفاء هذا مايجعل الملاك التونسيين يجهلون هذا التحديد إلا بعد فوات الأوان.

وكان من نتائج هذه السياسة الاستعمارية أن جعلت الفرنسيين والأوربيين يستولون على أغلب الأراضي الخصبة مما وفر لهم إنتاج زراعي وفير في حين عم الفقر بين طبقات الفلاحين وكثرت فيهم البطالة وإنخفض مستوى معيشتهم [2]، كما تضررت تربية المواشي لإرتباطها الكلي بالأرض فمربي الماشية كان يترك نصف أرضه للرعي وبعد الإحتلال وتفاقم نزع ملكية السكان إستحال عليهم تربية المواشي لعدم وجود المراعي [3]، فإنخفضت نسبة المواشي التي كان يقدر عددها بأكثر من 1,2 مليون رأس عشية الحماية لينخفض العدد إلى نحو 700 ألف رأس قبيل الحرب العالمية الأولى وزيادة على ذلك كلما طرأ الجفاف إلا وأباد قسما كبيرا منها لأنها أغلقت أمامها الجهات الخصبة والمروية[4].

ب – الصنـــاعة :

أما الصناعة فقد كانت قبل الحماية من أهم المجالات الإقتصادية خاصة صناعة الشاشية والصناعة

1 – عبد القادر خليفي، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر (1899–1983)**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجزائر 2013، ص16.

2 – الحبيب ثامر، المرجع السابق، ص49.

3 – عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص130.

4 – امحمد يزير، **عبد العزيز الثعالبي وقضايا عصره(1876–1944)**،رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية،الجزائر،2011، ص22.

النسيجية والجلدية ، بالإضافة إلى صناعة السيراميك... [1]، وبعد الحماية تأثرت الصناعة أثرا كبيرا وهذا بسبب إنتشار الصناعة الحديثة في تونس على يد الأوربيين الذين يملكون وسائل الإنتاج ورؤوس الأموال، مدعومين من سلطة الحماية ولم يكن يتاح للتونسيين الأشتغال بالصناعة إلا بصفة ضيقة، إذ في الكثير من الأحيان يتم جلب اليد العاملة من الخارج[2]، وإقتصر النشاط الصناعي للتونسيين على الصناعة التقليدية والتي فقدت قيمتها بسبب منافسة الصناعة الحديثة والأجنبية الأقل ثمنا فمثلا الشاشية المقلدة كان ثمنها أقل بثلاثة مرات من سعرها التقليدي[3].

أما ثروات البلاد المعدنية كالفسفات والحديد والرصاص ، فقد أصبحت في حيازة الشركات التي رصدت أموال طائلة لإستغلالها [4]، فمثلا كانت مناطق إنتاج الفوسفات بالمتلوي والرديف وأم العرايس تحت نفوذ شركتين فرنسيتين هما "شركة الفوسفات" و"شركة الخطوط الجديدة بقفصة"[5].

ج – التجـــارة :

إن سياسة فرنسا التجارية بتونس إرتكزت على النظام الجمركي الذي سنته في البلاد لحماية مصالحها وإيجاد سوق لمنتوجاتها ، وقد إتجهت فرنسا منذ بداية الحماية إلى هذه الناحية ، فإتفقت فرنسا مع الدول الأوربية على التنازل لها عن حقها في كل الإمتيازات الجمركية، فإتسع بذلك لها المجال وتمكنت من القضاء على إستقلال تونس الجمركي، وأصبحت فرنسا تصدر أنواع عديدة من البضائع دون رسوما جمركية، بينما البضائع التونسية يفرض عليها الرسوم الجمركية في فرنسا حتى لا تزاحم هذه المنتوجات البضائع الفرنسية، فهذا النظام أفقد تونس الكثير من حريتها الجمركية، وكان من نتائج هذه السياسة الجمركية أن إختل توازن الميزان التجاري التونسي ، وأصبح في عجز يزداد إرتفاعا سنة بعد سنة وأصبحت كفة الميزان التجاري دائما في صالح فرنسا ، وهذا يوضح لنا أن السبب المباشر في إختلال التوازن بين الصادرات والواردات راجع إلى السياسة الإقتصادية التي يتبعها الإستعمار في تونس والتي تقوم على عرقلة تطور البلاد الصناعي، فتونس كانت تصدر ما يفيض عن استهلاكها

---

1 – عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص92.

2 – مصطفى فاسي، **البطل في القصة التونسية حتى الإستقلال**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص16.

3 – علي محجوبي،المرجع السابق، ص15.

4 – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص17.

5 – أحمد قصاب، **تاريخ تونس المعاصر(1881–1956)**، الشركة التونسية للتوزيع،تر، حمادي الساحلي، تونس، 1986، ص242.

الداخلي من الإنتاج الزراعي وكل موادها الأولية بينما تستورد تونس البضائع المصنوعة بكل أنواعها.[1]

3- الأوضاع الإجتماعية في تونس :

تشير التقديرات الإحصائية أن سكان تونس سنة 1881 قدر بحوالي 1400.000 نسمة أو 1500.000 نسمة وكان التطور الحاصل ما بين 1881 وسنة 1921 بطيئا فالإحصاء الذي سجل سنة 1921 بلغ عدد السكان فيها 1890.000 نسمة وبعدها أصبح إرتفاع السكان أهم من قبل فقد بين إحصاء سنة 1931 أن عدد السكان وصل إلى 2160.000 نسمة [2] وغالبيتهم كانو من السكان الأصليين المسلمين وبعض الجاليات اليهودية والأوربية ، كما شهدت تونس بعد الحماية تزايد عدد السكان الأوربيين وهذا بعد تشجيع فرنسا لسياسة الإستيطان الحر فبلغ عددهم سنة 1884 إلى حوالي 19.000 نسمة وأغلبهم إيطاليين ، وفي سنة 1901 أصبح عدد الأوربيين 111.000 نسمة منهم 71.600 إيطالي و 24.000 فرنسي ، 12.000 مالطي[3]،وفي سنة 1911 وصل عدد الأوربيين إلى 148.476 نسمة منهم 188.000 إيطالي و 46.000 فرنسي [4] وبدخول الرأسمال الأجنبي تحولت ثروات البلاد إلى هؤلاء الأجانب على حساب السكان التونسيين.

فللوضعية الإ جتماعية بتونس بعد الحماية، أفرزت تناقضات بين طبقات المجتمع من خلال التفاوت الكبير في التملك و رؤوس الأموال ، فبرزت طبقة برجوازية تنتمي إلى المستعمر مشكلت الطبقة الممتازة والمتميزة في المجتمع أطلق عليها بعض المؤرخين تسمية "المتفوقين" يضاف إليها مجموعة من التونسيين إستفادو من الوضع الإستعماري لكنهم فئة قليلة [5]، ومن مظاهر عدم المساواة نجد الوظائف العالية ذات المرتبات الكبيرة والإمتيازات الكثيرة التي كانت حكرا على الفرنسيين ، في حين إقتصر التونسيون على الوظائف الصغيرة ذات المرتبات الضئيلة وأصبحت بذلك نسبة مايتقاضاه

1 - الحبيب ثامر، المرجع السابق، ص ص52-53.

2 - أحمد القصاب، المرجع السابق، ص ص266-267.

3 - نفسه، ص275.

4 - علي المحجوبي، المرجع السابق، ص17.

5 - عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص34.

الموظفون الفرنسيون نحو 96 % من مجموع ميزانية الدولة ، كما أن أغلب الضرائب عائداتها من السكان الأصليين ، ولم تكن الضرائب توزع حسب المداخيل ، بل كان التونسيون يخضعون لضرائب أكبر من الأوربيين ، فمثلا في سنة 1914 كان الخاضعون لضريبة المجبى من التونسيين يقدر عددهم 325.000 نسمة مقابل 35.000 أوربي[1] فمن خلال هذا أوجدت حكومة الحماية فئتين في المجتمع طبقة مدللة ممتازة أغلبها من الفرنسيين وإلى حد ما من الأوربيين وطبقة ثانية ضعيفة مستغلة مضطهدة محرومة من كل الحقوق البشرية المعترف بها وهي طبقة الشعب المغلوب على أمره فالطبقة الأولى تستغل وتحتقر الطبقة الثانية أما هذه الأخيرة كانت مقاومة تمتاز بالإنكفاء على ذاتها و الرفض المسبق لكل ما يأتي من الثانية على أنه إجرام[2].

الواقع أن هذه السياسة الفرنسية جعلت السكان التونسيين طبقة كادحة ويد عاملة رخيصة في كثير من القطاعات كالفلاحة والمناجم والنقل وفي هذا الإطار صدر أمر 04 أفريل 1884 على أن من يرفض القيام بعمل إلتزم به يعاقب بالسجن أو يقبل بإلتزاماته التي قطعها مع صاحب العمل.

ساد في المجتمع التونسي مظاهر الفساد والإنحلال وتدهور للأوضاع الصحية، فأغلب المواطنون لا يجدون مستشفيات ومستوصفات للعلاج، وكانت الديار ملأى بالمربيات والعوانس في جهل عميق[3]، وإجمالا يمكن القول أن السياسة الفرنسية الإجتماعية أنتجت لنا مجتمعا مقسما إلى الجنس الأعلى والجنس الأسفل فالأول يمثل الطبقة المسيطرة من الفرنسيين والاوربيين أما الثاني فيمثل الطبقة المغلوب على أمرها من السكان الصليين.

4- الأوضاع الثقافية في تونس :

أ. التعليم :

عرف التعليم في تونس قبل الحماية تطورا كبيرا وهذا بعد الجهود التي كان يبذلها حكام تونس خاصة في عهد المشير أحمد باشا (1837-1855) الذي كان ميالا للإصلاح والنهضة.

وفي سنة 1875 وسع خير الدين إطارات جامعة تونس وزاد عدد أساتذة كليات الأقاليم وأنشأ في

1 - احمد يزير، المرجع السابق، ص ص23-24.

2 - عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص194.

3 - عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص35.

تونس مكتبة عامة كبرى، وبمساعدة القطاع الخاص أنشأ كلية الصادقية [*]، كما إعتبر جامع الزيتونة إحدى القلاع الحامية للدين والتقاليد والسنة بإفريقيا الشمالية بأسرها [1]، فمسته محاولات إصلاح مناهجه التعليمية لتمكين طلاب الزيتونة من دراسة العلوم الحديثة والإتصال بالنهضة المعاصرة [2]، فبالرغم من قيام جامع الزيتونة بدور هام في تكوين نخبة كبيرة من المثقفين ورجال الإصلاح وزعماء الحركة الوطنية هذا ماجعل المصلحين المتنورين بداية من القرن العشرين يحسون أن مناهج التدريس وطرقه تحتاج إلى إعادة الرظر، ومن ذلك جاءت إصلاحات جديدة سنة 1912 تتويجا لنضال الطلبة الزيتونيين بدءا بتشكيل "جمعية طلبة الزيتونة" سنة 1907 إلى قيامهم بإضرابات ومظاهرات في الشوارع في مارس 1910 مطالبين الحكومة بتفعيل الإصلاح.

إن نضال طلبة الزيتونة لم يكن هينا ولا سهلا، فالإستعمار كان يحسب لهم ألف حساب، فخريجي الزيتونة لم يكونوا رجالا مثقفين بقدر ما كانوا رجالا وطنيين شديدوا الإرتباط بالشعب المعادي للإستعمار[3].

ومن أشهر المدارس التي أنشأتها العناصر المثقفة التونسية، المدرسة الخلدونية سنة 1896 والتي كانت تهدف إلى النهوض بالعلوم مثل الرياضيات، الطب، التاريخ ، الجغرافيا وغيرها[4]، فأقبل عليها شباب من طلبة الزيتونة إقبالا كبيرا، مما جعل المعمرين متخوفين من خريجي هذه المدرسة [5]، كما كان هناك مجموعة من النوادي الأدبية والثقافية التي كانت مسرحا للمحا ضرات والمناقشات حيث لعبت دورا مكملا للمدارس المذكورة وساهمت في الحفاظ على الشخصية العربية التونسية والنهوض بالمستوى الثقافي للتونسيين.

---

1 – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص87-88.

* – الصادقية : مدرسة أنشأها خير الدين باشا سنة 1874 بهدف تنشئة الشباب التونسي على المهن الحرة. للمزيد أنظر، شارل آندري جوليان، **المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي**، تر، محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ت)، ص56.

2 – الحبيب الجناحي، **الحركة الإصلاحية من إنتصاب نظام الحماية إلى بداية القرن العشرين**، حوليات الجامعة التونسية، ع6، (د.ت)، ص159.

3 – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص ص25-26.

4 – عبد العزيز الثعالبي،المصدر السابق، ص59.

5 – شارل آندري جوليان،المصدر السابق، ص77.

من المعروف أن فرنسا قد بدأت منذ الإحتلال إتخاذ إجراءات لازمة للحد من التعليم، والإقلال من عدد المدارس الموجودة لذالك، ولقد لاحظ أحد المعمرين وهو كارنيار أنه كلما تعلم الأهالى إزدادوا حقدا علينا.

أخذت وضعية التعليم تتأزم بسبب وقوف المعمرين في وجه أي تعليم وبأي لغة كانت حتى تعليم الكتاتيب قل عدد تلامذتها من 4958 تلميذ سنة 1897 إلى 2627 تلميذ سنة 1904، وهذا بعدما تم إغلاق عشرات المدارس.

وكان الكتاب العصري الذي فتحه "خير الدين مصطفى" سنة 1906، أول مدرسة حرة للتعليم العربي، فتحت الباب لمدارس أخرى في تونس العاصمة وغيرها من المدن، وكان لهذه المدارس تأثير في تخرج أولئك الذين كان لهم الفضل في ميدان الأدب والثقافة في المستقبل[1].

ب . الصحـافة :

ساهمت حركة الطباعة والنشر في ميلاد الصحافة التونسية، وإعتبرت من المعالم البارزة للنهضة الثقافية التونسية في عهد الإصلاح الذي عرفته البلاد قبل فرض الحماية، فأنشأت المطبعة الرسمية التونسية، وكانت أول جريدة تطبع هي جريدة "الرائد التونسي"[2] في 20 جويلية 1860، وأوكل "الصادق باي" مهمة الإشراف عليهما إلى الجنرال حسين رئيس المجلس البلدي وأحد أنصار خير الدين البارزين[3]، وتعد من أقدم الصحف العربية.

وبعد إنتصاب الحماية في تونس ظهرت جريدة "الحاظرة" كأول جريدة غير رسمية باللغة العربية في 12 أوت 1888، تحصلت على مساهمت عدد من رجال الإصلاح المشهورين، أمثال البشير صفر والشيخ سالم بوحاجب والشيخ محمد السنوسي، عرفت الجريدة إنتشارا واسعا بين الأوساط التونسية وكانت تمتاز بلهجة معتدلة مما أدى بالإستعمار إلى عدم مناه ضتها، لتصدر بعدها العديد من الصحف والجرائد مثل جريدة "الزهرة" في سنة 1889 وتعطلت في 1896 بسبب هجومها اللاذع

1 – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص27.

2 – محمد بن الخوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986، ص166.

3 – الحبيب الجناحي، المرجع السابق، ص131.

للإدارة الفرنسية[1]، ومن الصحف التي ظهرت فيما بعد نجد "المبشر" و"المنتظر" و"البصرة" و"سبيل الرشاد" وغيرها.

ومع مطلع القرن العشرين أصبحت العديد من الصحف التونسية تصدر باللغة الفرنسية بسبب ما تعرضت له الصحف العربية من إضطهاد ومن هذه الصحف "البريد" سنة 1904 ، "التونسي" سنة 1907 وجريدة "الليبيرالي".

اعتبرت فترة مابعد الحرب العالمية الأولى الفترة الأكثر إزدهارا في الحياة الصحفية التونسية فبرزت جرائد جديدة مثل "الأمة"، "الإتحاد"، "لسان الشعر" وغيرها، مما ساهم في إنتعاش الحياة الفكرية والثقافية في تونس[2].

1 – أحمد القصاب، المرجع السابق، ص ص327-328.

2 – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص ص28-29.

المبحث الثاني : الاوضاع العامة في المغرب الأقصى :

1- الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى :

حكم المغرب الأقصى الأشراف العلويين منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر ميلادي إلى يومنا هذا، وعرف المغرب الأقصى فترة حكم الأسرة العلوية فترات من القوة والضعف، وكانت علاقاتهم بالعثمانيين في الجزائر يسودها التوتر وأحيانا التعاون خاصة ضد العدو المشترك إسبانيا.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأ المغرب الأقصى يتعرض للتغلغل الأوروبي، فزاد النفوذ الإسباني بموجب معاهدة 1861، التي عقدها السلطان محمد بن عبد الرحمان(1859-1873) مع إسبانيا[1]. أما فرنسا فكانت لها أطماع ومصالح حيوية في المغرب مرتبطة بوجودها في الجزائر وتونس فأصبحت لها حدود مشتركة مع المغرب، إضافة إلى مصالحها المتصلة بالصراع الإستعماري، ويعبر عن ذلك "أوجين آتيين" الذي كان يتزعم مطلع القرن العشرين الفريق الإستعماري في البرلمان الفرنسي بقوله " إن لفرنسا في المغرب حقوقا وواجبات تفوق مالغيرها من الدول الأخرى، وإن الأساس الأول لحقوقنا هي الجزائر، إن الجزائر قادتنا إلى تونس وينبغي أن تقودنا إلى المغرب "[2] .

كان الصدام بين الفرنسيين والمغاربة وصل إلى نشوب الحرب بينهما بعد مساعدة " السلطان المولى عبد الرحمان (1822- 1859) " للأمير عبد القادر الجزائري في كفاحه ضد الفرنسيين بالجزائر، ولكن بعد هزيمة الجيش المغربي في "معركة إيسلي" في أوت 1844[3]، إنتهت بالتوقيع على إتفاقية طنجة في 10 سبتمبر 1844 تعهد فيها السلطان المغربي بعدم تقديم أي مساعدات للأمير عبد القادر، وبسجنه في إحدى الموانئ المغربية إذا ما وقع في أيدي السلطات المغربية[4].

ومع مطلع القرن العشرين زادت أطماع فرنسا في مراكش* فبدأت بإتفاق مع إسبانيا في 28 جوان 1900 على إقتسام الأجزاء الجنوبية من المغرب (الصحراء الغربية) تكون لإسبانيا بينما تأخذ فرنسا

---

1 - إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، **تاريخ العالم الإسلامي والحديث والمعاصر: قارة إفريقيا**، ج2، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، 1993، ص146.

2 - نقلا عن شوقي عطاءالله الجمل، المرجع السابق، ص313.

3 - نفسه، ص313.

4 - شوقي عطاءالله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، دار الزهراء، المملكة العربية السعودية، 2002، ص278.

* - وردت تسمية (مراكش) في أغلب المصادر العربية والأجنبية للدلالة على المغرب الأقصى وفي هذا البحث سنعتمد على التسميتين على حسب المصادر والمراجع العتمدة.

موريتانيا. وبعدها عقدت فرنسا الإتفاق الودي مع بريطانيا في 08 أفريل 1904 الذي يخول لها التغلغل في مراكش، زادت هذه الاطماع خاصة في عهد السلطان عبد العزيز (1894-1907) وفي عهد السلطان عبد الحفيظ (1907-1912).

إلا أن ألمانيا وطدت علاقاتها مع المغرب خاصة بعد زيارة إمبراطورها لمراكش مارس 1905 ويأكد صداقته مع المغرب محاولا إحباط المؤامرة الفرنسية الإسبانية البريطانية، مما أدى إلى عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء في 14 جانفي 1906 لدراسة وضع المغرب الأقصى [1]، فوقفت كل من بريطانيا إسبانيا روسيا إيطاليا إلى صف فرنسا، ووقفت ألمانيا وحيدة لاناصر لها سوى النمسا، لم تلتزم فرنسا وإسبانيا بقرارات هذا المؤتمر وشرعوا بعد سنة في إحتلال بعض المناطق من المغرب، ما جعل السكان يثورون على السلطان عبد العزيز ونصبوا أخوه عبد الحفيظ مكانه [2]، فأصبح سلطانان في المغرب عبد العزيز في فاس متخذا من الألمان أعوانا له وعبد الحفيظ في مراكش متخذا من الفرنسيين أولياءا له، وفي النهاية تمكن عبد الحفيظ من الحكم، فزاد هذا الصراع بين أبناء الأسرة الحاكمة فيما بينها وإستعانتهم بالصليبيين ضد بعضهم البعض من ضعف المغرب وقلل إهتمام الحكام بالرعية و تراجع هيبة البلاد أمام الأعداء.

وفي هذه الظروف لم يبقى لفرنسا سوى عقبة ألمانيا لتجسيد إحتلالها في المغرب، فبدأت تترقب الفرصة ولتحقيق ذلك أقرضوا السلطان بمبالغ ضخمة من المال بفوائد مرتفعة، عجز السلطان عن تسديدها في موعدها.

وفي هذه الظروف جاءت حادثة إغتيال أحد المبشرين الفرنسيين "الدكتور موشان" في 22 مارس 1907 بمراكش، إتخذتها فرنسا ذريعة وإحتلت وجدة في 31 ماي 1907، وجاءت صدامات الدار البيضاء التي قتل فيها بعض العمال الفرنسيين والإسبان في 30 جويلية 1907، إنتهت بإحتلال فرنسا للدار البيضاء.

---

1 - علال الخديمي، **المغرب في مواجهة التحديات الخارجية 1852-1947 دراسات في تاريخ العلاقات الدولية**، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص ص85-86.

2 - إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، المرجع السابق، ص ص147-148.

تحركت الجيوش الفرنسية سنة 1911 بقيادة الجنرال "موايني" فإحتلت فاس في 31 ماي 1911 ثم مكناس والرباط في جوان من نفس السنة، بدعوى حماية السلطان عبد الحفيظ من القبائل الثائرة، وفي نفس الوقت تحركت الجيوش الإسبانية بحرا فإحتلت العرائش في 08 جوان 1911 ثم القصر، هذه التحركات أفزعت الألمان ورأت أن هذا يعني إنهاء المسألة المغربية لصالح فرنسا من دون أن تنال ماكانت تطمح إليه[1]، فأرسلت ألمانيا بارجة بحرية إلى أغادير على المحيط الأطلسي تلميحا منها على إستخدام القو ة العسكرية، ولحل المشكلة جرت مفاوضات بينها وبين فرنسا ، إنتهت بعقد إتفاق بينهما في 04 نوفمبر 1911 يقضي الإتفاق بتنازل فرنسا لألمانيا عن أجزاء من الكونغو الفرنسية مقابل ألا تعرقل فرنسا في المغرب، وبذلك إستطاعت فرنسا تخطي عقبت ألمانيا [2]. فسارعت فرنسا لإتخاذ الخطوة الثانية بفرض سيطرتها على المغرب ، وهذا عن طريق فرض الحماية عليها، يوم 30 مارس 1912(انظر الملحق رقم 3) عندما أرغم السلطان عبد الحفيظ التوقيع على معاهدة الحماية ، وبها أصبحت البلاد تحت إشراف كل من فرنسا وإسبانيا على إختلاف المنطقة الجغرافية، حيث إستولت فرنسا على المنطقة الشرقية والوسطى والجنوبية وإكتفت إسبانيا بالمنطقة الشمالية[3]. وفي سنة 1913 تم نقل العاصمة إلى الرباط وهذا من أجل مباشرة السياسة الإستعمارية.[4]

– ردة الفعل الشعبية على توقيع معاهدة الحماية:

يكاد العهد الذي يفصل بين 31 مارس 1912 تاريخ توقيع الحماية إلى غاية 16 ماي 1930 أن يكون عهد كفاح عسكري محض، لأن الأغلبية الساحقة من البلاد أعلنت الثورة بعد التوقيع على معاهدة الحماية، ولم يكن إخضاعها إلا بعد جهود جبارة من الإستعمار وبشكل تدريجي [5]، وكان لتقسيم المغرب إلى منطقتي نفوذ فرنسية وإسبانية أثر على شكل المقاومة الشعبية التي ظهرت في

1 – شوقي عطاءالله الجمل، المرجع السابق، ص327.

2 – شوقي عطاءالله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص279.

3 – عبد الحميد المرينسي، **الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصيات الأستاذ علال الفاسي إلى أيام الإستقلال**، مطبعة الرسالة، المغرب، 1976، ص10.

4 – محمد القبلي، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، المغرب، 2011، ص541.

5 – علال الفاسي، **الحركات الإستقلالية في المغرب العربي**، مطبعة النجاح الجديدة،المغرب، 2003، ص145.

المغرب، ومن هنا نجد أن الإستعمار الفرنسي صمم منذ فرض الحماية على إستخدام القوة حتى ولو كان بإسم السلطان لفرض سيطرته على مناطق نفوذه.

أما إسبانيا فنجدها في الفترة التي تلت الحماية لم تتوغل بقواتها للمناطق الداخلية في المغرب ، وبقية في قواعدها بالمدن والموانىء عكس فرنسا التي زحفت إلى أغلب مناطق نفوذها ، مما أدى إلى نشوب ثورات ضدها قبل أن تظهر المقاومة في منطقة الريف الشمالية التابعة للنفوذ الإسباني [1]، إلا أن الزحف الإسباني نحو الريف إصطدم بمقاومة مسلحة عنيفة وهي مقاومة عبد الكريم الخطابي ، الذي عرقل التوسع الإسباني وألحق بهم خسائر كبيرة ،[2] وظل يطاردهم طيلة خمس سنوات (1921-1926)، إلا أن إتحاد جهود إسبانيا وفرنسا ضد مقاومة الخطابي والخيانة من طرف بعض قبائل الريف أدت به إلى الإستسلام وسلم نفسه لفرنسا، وتم نفيه إلى جزيرة "ريونيون" بالمحيط الهندي[3].

بعد أن سيطرت فرنسا على أغلب أجزاء المغرب عين "الفريق ليوتي" مقيم عام فرنسي بالمغرب (1912-1925) وهو المتصرف الفعلي في تسيير شؤون البلاد وأصبح حكم السلطان صوريا منفذا لقرارات المقيم العام، فيعتبر ليوتي أول من وضع أسس ومبادىء الإدارة الفرنسية غير المباشرة بالمغرب ويتضح ذلك من خلال قوله :"تتضمن فكرة الحماية أن الدولة المحمية تحتفظ بأنظمتها عن طريق هيئاتها المنظمة وأن تحكم نفسها بنفسها عن طريق الهيئة المنظمة ..." [4]، أما منطقة الريف فقد خضعت للإستعمار الإسباني، وأخذ يمارس فيها السياسة الصليبية، وتم الإتفاق بين فرنسا وإسبانيا على تعيين خليفة للسلطان في منطقة الريف يخضع لرقابة المندوب السامي الإسباني[5].

وفي 03 مارس 1924 ألغيت الخلافة العثمانية فزاد ذلك المسلمين تفرقا وإهتم أهل كل إقليم بإقليمهم، وكان المغرب الأقصى مقسم في هذه الفترة إلى الأجزاء التالية :

---

1 – جلال يحي، **المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرير والإستقلال**، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، 1966، ص927.

2 – إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، المرجع السابق، ص153.

3 – نفسه ، ص157.

4 – نقلا عن صلاح العقاد، **المغرب العربي (الجزائر، تونس، المغربالأقصى)**، مكتبة الأنجلومصرية، مصر، 1962، ص ص9-10.

5 – محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر بلاد المغرب** ، ج14، المكتب الإسلامي، لبنان ، 1996، ص ص354-355.

- بلاد الريف : تحت النفوذ الأسباني وتشمل "إيفني" والجنوب وسبتة ومليلة والحسيمة، تعرف بالمنطقة الخليفية.
- مراكش : تحت النفوذ الفرنسي وتشمل باقي أجزاء المغرب، تعرف بإسم المنطقة السلطانية.
- طنجة : لها وضع دولي.
- موريتانيا : تحت النفوذ الفرنسي(أصبحت دولة خاصة).

ومنذ دخول فرنسا للمغرب وضعت نصب عينيها التفرقة بين العرب والبربر ، وأصدرت في سبيل تنفيذ هذه السياسة مرسوما عرف بإسم الظهير البربري في 1914 ، أعفت فيه البربر من تطبيق الشريعة الإسلامية ودراسة اللغة العربية وسمحت لهم التقاضي بموجب العادات وباللغة المحلية (البربرية)، وفي صيف 1922 أصدرت سلطة الحماية الفرنسية بالمغرب ظهيرا جديدا ينظم إنتقال الأراضي وملكيتها في المناطق البربرية بشكل يتعارض مع الشريعة الإسلامية، ثم خطت خطوة ثالثة بإستصدار ظهيرا جديدا في ماي 1930 نصت على أن يحكم شيوخ القبائل في المناطق البربرية حسب العرف والعادات[1] بدون العودة الى التتشريع الاسلامي.

يتضح من خلال الحكم الفرنسي المطبق أثناء الحماية على المغرب الاقصى هو حكم مباشر على الرغم من أنه منطوق ببنود الحماية والتي لاتعني زوال سيادة الدولة المحمية، فالإستعمار بسياساته في المغرب كانت سياسة ظالمة ومصادرة للحريات وللممتلكات، وإنتزعت الأراضي من أصحابها وفرضت الظرائب الباهضة، وجعلت التمييز بين السكان والمعمرين، ومنعت حرية الرأي والصحافة، وإنتهجت سياسة التجهيل والتفقير، بل تعدى الأمر إلى محاولة القضاء على مقومات الشخصية العربية الإسلامية بالمغرب، كما صادرت شرعية السلطان في الحكم ، هذا ما جعل المقاومة الوطنية تتدرج في مطالبها وفي مناهجها وتتبع سياسة المراحل في المطالبة بإصلاحات إلى المطالبة بالحرية والإستقلال، وذلك وفق تنظيمات سياسية هدفها التحرر الوطني واستقلال البلاد.

2- الأوضاع الإقتصادية في المغرب الأقصى :

بعد فرض الحماية مارست فرنسا في المغرب سياسة النهب ومصادرة الأراضي والإستيلاء على الموارد والثروات الطبيعية، وكان شأنها شأن بقية المستعمرات، فلقد أعتبرت خزانا للموارد تلجأ إليها

1 - إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، المرجع السابق، ص ص157-158.

خاصة خلال الحروب والأزمات [1]، إن مرحلة العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين كانت المستعمرات من الناحية الإقتصادية مهمة بالنسبة للدول الإستعمارية الغربية لتضميد جراحها بعد

الحرب العالمية الأولى، لمواجهة المشكلات المستعصية الناجمة عن الأزمة الإقتصادية العالمية، ولذلك هدفت السياسة الإستعمارية في المغرب تموين فرنسا بالقمح وباقي المواد الغذائية كما كان للسياسة الإستيطانية أثر كبير في مصادرة أراضي السكان، وهذا بصدور ظهير 1914 يتعلق بنزع الملكية من أجل المنفعة العامة[2]، مما حرم المواطنين من أراضيهم تاركين لهم إختار إما الفقر أو النزوح والهجرة.

إن الثقل البشري للمستوطنين أصبح بمرور الوقت يشكل خطرا حقيقيا على الوضع الإقتصادي وعلى معيشة الناس[3]، ويتضح من خلال القطاعات الإقتصادية مايلي:

أ. الزراعة :

تمثل الزراعة عصب الحياة الإقتصادية في المغرب الأقصى، وتبلغ مساحة الأراضي الزراعية 15 مليون هكتار لم يكن مستغلا منها سوى 1.5 مليون هكتار سنة 1912، ويرجع ذلك إلى طبيعة الإنتاج بين ممثلي السلطان والفلاحين القائمة على نظام الصخرة من جهة، وبدائية وسائل الإنتاج وجهل الفلاحين بأساليب الإنتاج الحديثة وتذبذب الأمطار في بعض السنوات من جهة أخرى، وكانت زراعة الحبوب بأنواعها أهم المنتوجات الزراعية إلى جانب زراعة الخضر والفواكه، يستغلها السكان في معيشتهم ويصدر الفائض من الإنتاج إلى جانب ذلك نجد الثروات السمكية التي كان صيدها يعرف حركية ونشاط[4]، إلا أنه بعد توقيع معاهدة الحماية عرف قطاع الزراعة تغيرات واضحة فأصبح معدل ملكية الأرض الزراعية يبلغ حوالي 300 هكتار للأوروبي في حين يبلغ 7 هكتارات بالنسبة للمغربي وبدأ يحرم الفلاح من جميع الحريات والحقوق المهنية والنقابية ، فالفلاحون المغاربة

1 – ألبير عياش، **المغرب والإستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية**، تر، عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، دار الخطابي للطباعة والنشر، المغرب، 1985، ص174.

2 – ألبير عياش، المرجع السابق، ص174.

3 – عبد المالك خلف التميمي، **أضواء على المغرب العربي، (رؤية عربية مشرقية)**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011،ص ص46-47.

4 – محمد علي داهش، **محمد بن عبد الكريم الخطابي صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الإستعمار**، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 2002، ص15.

يعيشون حالة الفقر المتقع من آثار مصادرة أراضيهم مما أدى إلى وقوع مجاعات مابين سنتي (1937-1945) هلك فيها أكثر من مليون نسمة[1].

أما عن إسبانيا فكان من أهم دوافعها من الإحتلال الشمال المغربي الدوافع الإقتصادية والإستراتيجية والإستيطانية، ففي مطلع القرن العشرين سعت إسبانيا إلى إبقاء نفوذها وتوسيعه في المغرب، وعرفت

المصالح الإقتصادية الإسبانية في شمال المغرب تطورا كبيرا بالخصوص مناجم الحديد، حيث توسع نفوذ الشركة الإسبانية للمعادن في إستغلال مناجم الناظور قرب مليلة ، وشيد الإسبان قلعة حصينة لحماية الشركة، إضافة إلى إستغلال مناجم الحديد في أكسان، وعليه فكانت مناجم الحديد أكبر الدوافع الإسبانية للإحتفاظ بالمغرب الاقصى.[2]

ب . الصنـاعة :

لقد ظلت الصناعة محلية تقليدية بسبب الإحتلال المبكر لأهم الموانىء المغربية من طرف البرتغاليين والإسبان والتي كانت تمثل المراكز الصناعية النشيطة آنذاك، ونتيجة للفوضى الداخلية وزحف الحياة القبلية إلى داخل المدن نفسها لم يستطع النشاط الصناعي الصمود أمام تدفق المصنوعات الأجنبية منذ القرن التاسع عشر، ظلت هذه الصناعة مقتصرة على حياكة السجاد والأحزمة والخيام وبعض الأقمشة الصوفية وبعض المنتوجات البدوية الأخرى الحديدية والفخارية والنحاسية موجهة إلى الإستهلاك المحلي[3].

إضافة للصناعة التقليدية نجد أن الصناعة الإستخراجية عرفت سيطرة الإستعمار على مناجم الفوسفات والحديد وهذا بإنشاء شركات أوروبية لهذه الصناعات، أما المغاربة لا يمكنهم القيام بهذه الصناعات لضعف الإمكانيات وعرقلة الإستعمار لمثل هذه الصناعات.

ج . التجـارة :

1 – محمد رحاي، **الأبعاد الثقافية والسياسية في حركتي عبد العزيز الثعالبي و علال الفاسي دراسة تاريخية وفكرية مقارنة**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجزائر، 2005، ص27.

2 – محمد علي داهش، **دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر**، مركز الكتاب الأكاديمي، العراق، (د.ت)، ص102.

3– محمد علي داهش، **محمد بن عبد الكريم الخطابي**...، المرجع السابق، ص17.

تميزت التجارة في المغرب الأقصى بنشاط كبير منذ أواخر القرن الثامن عشر ولعل ذلك يرجع إلى إزدهار عملية التبادل التجاري بين بعض الدول الأوروبية، فأدى هذا النشاط إلى تغلغل المصالح الأجنبية عن طريق الإمتيازات التي كانت تمنح لهم، وبموجب العلاقات التي لعبت في تخريب الإقتصاد المغربي وتهديد إستقلال البلاد.

سيطر الإسبان والفرنسيين على التجارة الخارجية للمغرب الأقصى سيطرة تامة، وعرفت التجارة نشاطا مع أوروبا بشكل خاص. وعن طريق الموانىء تتم المبادلات التجارية الخارجية، فالواردات تتمثل في

السكر والشاي والمنسوجات القطنية والحريرية والصوفية وبعض المصنوعات المعدنية والأسلحة والذخائر، أما الصادرات فإقتصرت على الأصواف والجلود والعسل والشمع واللوز وكذلك الحبوب التي لايمكن تصديرها إلا في المواسم الزراعية الجيدة[1].

وبعد الحماية أقامت فرنسا نظام جمركي لفائدة الفرنسيين وأصبحت مراكش سوق للبضائع الفرنسية والدول الأوروبية، وإحتكرت التجارة الخارجية من صادرات و واردات، فحرمت بالتالي أهل البلاد من تصدير منتوجاتهم إلى الخارج، وفي سنة 1920 ألغي التعامل بالريال الحسني وتم ربط العملة المغربية بالعملة الفرنسية وهذا بإستحداث الفرنك المغربي، وبشكل عام كانت التجارة الخارجية للمغرب في خدمة سلطة الحماية الفرنسية وبدرجة أقل الإسبانية، كما عرف المغرب عجز في ميزانه التجاري مع الأسواق الأوروبية[2].

3- الأوضاع الإجتماعية في المغرب الأقصى :

كان المجتمع في المغرب الأقصى ينقسم إلى قسمين سكان الأرياف تتألف من قبائل تجمعها عائلات كبيرة وتنقسم العائلات بدورها إلى عشائر وكانت تعيش على أراضي العائلة، والقسم الثاني سكان المدن يتشكلون في وحدات إجتماعية وسياسية يحكمها مجلس "الجماعة" ويتكونون من سكان المغرب والأندلسيين وفئة اليهود، والزنوج فهم موجودين نتيجة لتجارة العبيد، بالإضافة إلى الفئات الجديدة المنبثقة عن الإحتكاك الأوربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهي فئة الأوربيين التي ظل عددها يتضاعف نتيجة للإمتيازات المترتبة عن نظام الحماية.

1 - محمد علي داهش، **محمد بن عبد الكريم الخطابي**...، المرجع السابق، ص16.

2 - محمد القبلي، المرجع السابق، ص ص556-557.

أما من ناحية الولاء السياسي فإنقسم المجتمع المغربي إلى قسمين: بلاد المخزن تشتمل على أنواع عديدة من القبائل فهناك قبائل تربطها بالمخزن علاقة أخذ وعطاء، أما القسم الثاني فتعرف ببلاد السايبة تشمل قبائل لاتخضع للمخزن بحكم عدم وجود ولاة ولاقانون يقيدها[1].

أما عن عدد سكان المغرب فلا تكاد تتوفر إحصاءات دقيقة ، فنجد الإحصاءات المنجزة بمنطقة الإحتلال الفرنسي بالمغرب تشير إلى أن عدد سكان المغرب سنة 1921 قدر ب 3.5 مليون نسمة وفي سنة 1926 وصل العدد إلى 5.36 مليون نسمة وسنة 1952 بلغ تعداد السكان 8.01 مليون نسمة ، أما في المنطقة الخليفية التي تحت النفوذ الإسباني قدر السكان فيها 1.09 مليون نسمة، فيكون مجموع السكان سنة 1952 قد تجاوز 9 مليون نسمة، أما عن الأوروبيين المستوطنين بالمغرب فقد تضاعف عددهم أربع مرات مابين 1921 إلى 1952، حيث إنتقل في المنطقة السلطانية الخاضعة للحماية الفرنسية من 80.000 نسمة إلى 362.800 نسمة، ووصل عددهم في المنطقة السلطانية حوالي 90 ألف نسمة، وكان أغلب المستوطنين مستقرين في الحواضر[2].

لقد عملت سلطة الحماية على فرض الضرائب على السكان وإعادة ترتيبها موهمة المغاربة برغبتها بإبقاء الضرائب الشرعية من زكاة وأعشار بالتعاون مع سلطة المخزن، لكن نظام الضرائب الذي طبق بعد 1920 كان مستوحى من النموذج المطبق في الجزائر ، وأعطوه الصبغة الدينية لتفادي إزعاج المغاربة مع نبرة وعيد لكل من لا يدفع للأمر السلطاني، خاصة بعد إخراج ظهير 1915 الذي أكمل الإعداد لأهم مورد جبائي إستفادت منه إدارة الإستعمار في التدبير المالي لمقاولاتها في مراكش، وفي نفس الوقت نسف الكثير من البنى المجتمعية بعد إعادة ترتيب البيت المخزني من جديد[3].

وفيما يخص الأوضاع الصحية في المغرب عهد الحماية إتسم بهشاشة قوية تتجلى في قصر أمد الحياة الذي قدر ب 35 سنة، وإرتفاع نسبة الوفيات خاصة بالنسبة للأطفال، بسبب إنتشار الأوبئة

1 – محمد العربي معريش، **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول (1873–1894)**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1989، ص ص124-125.

2 – محمد القبلي، المرجع السابق، ص ص561-562.

3 – الطيب بياض، **المخزن والضريبة والإستعمار ضريبة الترتيب 1880–1915**، إفريقيا الشرق، المغرب، 2011، ص ص315-316.

المتكررة (التيفويس، الكوليرا، الطاعون) والأمراض المعدية خاصة (السل، الزهري)، وسوء التغذية الناتج عن الجفاف والكوارث وقلة الطب الحديث، الذي وإن وجد الأطباء الأجانب فإنهم يعالجون أعيان المخزن وبعض الشخصيات الم يسرورة، ومع مطلع ثلاثينيات القرن العشرين حاولت سلطات الحماية تحسين الأوضاع الصحية بإنشاء وحدات صحية كبرى ومستشفيات مما أعطى نتائج إيجابية تجلت في الإنخفاض الكبير لإنتشار الأوبئة وفي إنخفاض نسبة الوفيات في جميع مناطق الإحتلال الفرنسي، وإزداد الإقبال على الطب الحديث بعد الحرب العالمية الثانية بشكل كبير[1].

4- الأوضاع الثقافية في المغرب الأقصى :

أ. التعليم :

ظل التعليم الإسلامي التقليدي سائدا في المغرب الأقصى حتى بداية القرن العشرين، وكان يتمثل بصفة عامة في الكتاتيب والزوايا والمدارس القرآنية التي كان ينفق عليها السلطان أو بعض الوجهاء، كما قام جامع القرويين الذي يعد المركز الأول للتعليم العالي في البلاد بدور مهم في البلاد في التعليم الديني والحفاظ على اللغة العربية وعلومها، وكان التعليم يقتصر بشكل شبه مطلق على الذكور، وفي عهد السلطان عبد الحفيظ صدر قانون التعليم الإلزامي مع إصلاح المدارس، وكانت تلك الإصلاحات بداية لإدخال المدارس الحديثة في المغرب[2]، فقد كتب كولييز عام 1930 بقوله "عند إمضاء عقد الحماية وجدنا أنفسنا أمام حالة واقعية إذ وجدنا أمامنا بفاس جامعة القرويين التي زودت دول الإسلام الإفريقية طوال عشرة قرون بقادة الفكر والتي لا يزال فيها سبعمائة طالب مغربي يتخصصون في القضاء أو العدالة ، كما وجدنا أيضا في الحواضر والبوادي عدد كبيرا من الكتاتيب القرآنية يمدها السلطان والأوقاف أو مطلق الناس بما تحتاج إليه ... نعم وجدنا أنفسنا أمام مجموعة زاهرة بديعة من المدارس كبرى وصغرى تعمل تحت ظلال الحضرية أو تحت خيام المداشر"[3].

غير أن سياسة الحماية تجلت في ميدان التعليم في شكل حرب منظمة ضد الثقافة الوطنية، وفي شكل تنظيم تعليم عصري يرمي قبل كل شيء إلى تكوين موظفين فرنسيين في الميدان الإداري والتقني وحتى

---

1 – محمد القبلي، المرجع السابق، ص563.

2 – محمد علي داهش، **محمد بن عبد الكريم الخطابي**...، المرجع السابق، ص ص19-20.

3 – نقلا عن مؤلف مجهول، **المغرب الأقصى (مراكش) قبل الحماية عهد الحماية إفلاس الحماية**، دار الطباعة المحمدية، مصر، (د.ت)، ص142.

أعوان مغاربة ثانويين، فأصبح النظام التعليمي القديم يلاقي حربا من طرف الإستعمار الذي يعرقل تطوره لأجل صبغتها الوطنية فإضطهد أساتذتها وتم إغلاق بعض المدارس[1].

أما عن حالة التعليم بمؤسسة القرويين فيعاني من غياب التنظيم العلمي (برامج التدريس) والإداري (أوضاع العلماء والمدرسين) فيقول عنهم الحجوي "إن القرويين لم يزل على حاله القديم فمع كونه مسجدا دينيا مقدسا، هو محل تطوع مفتوح الأبواب لإلقاء الدروس الدينية والعربية ولتلقيها من غير أن يكون له نظام، ولا ترتيب لسير دروسه، ولا للموظفين الدينيين المتخرجين منه، ولم تزل رواتب المدرسين به تافهة، ... فصار جل المدرسين يتعاطى حرفة يسد بها رمقه، فتعطلت الدروس ..." [2].

وكثيرا ماكانت الإدارة الإستعمارية الفرنسية تعارض إنشاء مدارس حرة جديدة وتعارض أي إصلاح في أساليب ومناهج التعليم وذلك بصدور ظهير مؤرخ في 11 ديسمبر 1937 يلزم المدارس الحرة بالإقتصار على تعليم المواد الآتية :

- تعلم القرآن واللغة العربية والكتابة بها.
- تعليم مبادىء النحو والصرف والفقه الإسلامي.
- تلاوة الكتب الدينية والمحفوظات الموجودة في نفس الكتب.
- الأخلاق والواجبات نحو العائلة.

ويمنع تدريس الحساب الذي كان موجود حتى في المدارس التقليدية، وتقفل كل مدرسة تدرس مواد أخرى[3].

كما يجب أن لا ننسى أن المغرب عرف قبل الحماية، وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إنتشار الحركة الإصلاحية التي إنتشرت في المشرق العربي ، والتي تهدف إلى القضاء على التخلف والعودة إلى المبادىء الأساسية التي جاء بها القرآن والسنة، ففي الميدان الديني ينسب التخلف إلى عدد الإنحرافات والبدع والخرافات التي سادت بلاد المسلمين مما أدى إلى الفوضى والإستبداد، ما سهل للغرب بسط نفوذه على أغلبية الدول الإسلامية، ولقد تأثر المغرب بإنتشار هذا

1 - نفسه، ص142.

2 - نقلا عن أحمد حسن الحجوي، المرجع السابق، ص ص131-132.

3 - مجموعة مؤلفين، المرجع السابق، ص145.

الإصلاح، من خلال فكر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبدو، والتي تدعوا إلى العودة إلى تعاليم السلف الصالح وحددت هذه الإصلاحات في النقاط التالية :

- تنقية الدين الإسلامي من الشوائب التي طرأت عليه.
- صلاح التعليم العالي الإسلامي.
- تحديد جديد للعقيدة الإسلامية على ضوء الفكر الحديث.
- حماية الإسلام من التأثيرات الأوروبية والتهجمات المسيحية.

ومن هنا يمكن أن نتساءل عما إذا كان المغرب أنجب نخبة إصلاحية يمكن إعتبارهم "فتيان المغرب" على غرار "تركيا الفتاة" وحركة "تونس الفتاة"، حتى وإن كان بعض المؤلفين القلائل لم يشيرو إلى وجود هذه الحركة إلا إبتداءا من الثلاثينيات عندما تأكد لديهم ما يبيته نظام الحماية من معاداة العرب والمسلمين، ومحاولات طمس الهوية المغربية في السنوات الماضية هذا ما مكن نخبة من العلماء والمثقفين و البورجوازية والزعماء الأصليين يقودون التيار الإصلاحي لتحريك وتوعية سكان المغرب مقتنعين أن إصلاح الأوضاع المتردية والحد من الفساد والإنحطاط بالعودة لمبادىء الدين الصحيح[1].

أما عن المدارس المسماة بالمدارس الفرنسية البربرية والمنشأة في بعض المراكز بالبادية يحظر تلقين اللغة العربية طبقا لمبادىء السياسة البربرية التي ترمي إلى عزل السكان وتقريبهم إلى فرنسا، فيقول المؤرخ الفرنسي كودفروا دومنيين حول ميدان التعليم بالمغرب "إن المدارس البربرية تمتاز بطابع سياسي أدبي بارز جدا فقد جعلت تحت إشراف مصلحة الإستعلامات (هي التي تسمى الآن بإدارة الخارجية) لتعينها في مهمتها وهي عبارة عن الآت مسخرة للدعاية الفرنسية ولمحاربة كل ماهو مضاد لفرنسا ...وتوجه هذه المدارس البربرية إتجاها فرنسيا ولذلك وقع إقصاء اللغة العربية والقرآن إقصاء منها ... إن اللغة الفرنسية لا اللغة البربرية هي التي يجب أن تسد مسد اللغة العربية كلغة متداولة وكلغة حضارة"[2].

وفي الأخير نرى أن التعليم المخصص للمغاربة من طرف إدارة الإستعمار هو تعليم عقيم مضاد للروح الوطنية، فهو تعليم ناقص يتسم بروح التفرقة ولايتماشى مع التطور العلمي الحديث.

---

1 - أحمد حسن الحجوي، المرجع السابق، ص ص61-63.

2 - نقلا عن مجموعة مؤلفين، المرجع السابق، ص ص146-147.

ب . الصحـافة :

لقد عرفت وضعية الصحافة تقلبات عدة، فقد نظمت الصحافة بظهير صدر سنة 17 أفريل 1917 وكان بإمكان الصحف الفرنسية الصدور بدون ترخيص مسبق، مقابل كفالة يتراوح قدرها بين 3000 و 6000 فرنك، وهو مبلغ مهم في ذلك الوقت، بالإضافة إلى إخطار مسبق يودعه مدير الجريدة لدى السلطات القضائية، وفي مقابل ذلك فإن إصدار الصحف المحررة ولو جزئيا باللغة العربية أو العبرية كان يتطلب صدورها الحصول على إذن مسبق وبواسطة قرار وزاري، ويكون معرضا

بإستمرار للإلغاء بموجب المادة 17 من ظهير 18 أكتوبر 1937[1] وقد عزز هذا الظهير المنظم للصحافة، بظهير جديد في جويلية 1939، الذي يمنع المنشورات الهدامة، وظهير آخر في 29 أوت 1939 الذي يسن المراقبة على الأخبار وهذا عن طريق المقيم العام الذي خول له تحديد جميع الإجراءات الواجب إتخاذها من أجل تنظيم الرقابة العامة للأخبار.

كما خول للمقيم العام حق منع رواج المنشورات المطبوعة خارج المغرب، وكذا توقيف أومنع نشر كل صحيفة أو دورية كانت مخالفة للإجراءات الإستعمارية التي وضعتها سلطة الحماية بالمغرب[2].

ومما سبق يتضح أن فرنسا سعت إلى التضييق على الصحافة الصادرة باللغة العربية بإجراءات معقدة للصدور والضريبة وتشديد الرقابة عليها، هذا ما جعل تيارات وزعماء الحركة الوطنية بالمغرب تصدر العديد من صحفها باللغة الفرنسية التي كانت تعرف تسهيلات في إصدارها مقارنة بالصحف التي تصدر باللغة العربية.

نستنتج مما سبق ذكره عن الأوضاع العامة في تونس والمغرب الأقصى في الفترة ما بين 1881-1937 النقاط التالية:

- إخضاع تونس والمغرب الأقصى للإستعمار الفرنسي عن طريق فرض الحماية تحت ضغط القوة العسكرية الفرنسية، فكانت البداية بتونس يوم 12 ماي 1881، وجاء الدور على المغرب الأقصى في 30 مارس 1912، والتي بموجب هذه الحماية جعلت السلطة الفعلية في البلدين

1 - ألبير عياش، المرجع السابق، ص104.

2 - نفسه ، ص105.

تحت تصرف المقيم العام الفرنسي، الذي جرد باي تونس وسلطان المغرب من سيادتهما، وترك لها السيادة الرمزية فقط.

- إتفاق فرنسي إسباني على إقتسام المغرب الأقصى بموجب معاهدة 27 نوفمبر 1912، ودخول المغرب تحت إستعمار مزدوج فرنسي إسباني.
- لم يتوقف الإستعمار في البلدين بفرض الحماية والإلتزام ببنودها بل تعدى ذلك وأصبح إستعمار مباشر قضى على السلطة الفعلية في البلدين، وإستهدف الإنسان التونسي والمغربي في هويته ومقوماته الشخصية وصادر أرضه وجعله في خدمة مصالحه.

الفصل الثاني

الفكر التحرري في تونس من خلال شخصية عبد العزيز الثعالبي (1881-1937)

1. الفكر التحرري في تونس

2. عبد العزيز الثعالبي وإسهاماته في تحرير تونس

كان إحتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 هزة عنيفة على تونس التي هي على حدود الجزائر ، أشعرت التونسيين بالخطر الداهم الذي لايمكن الهروب منه إذا لم يجابه وه المجابهة الحقيقية ، و لمواجهته الأخذ بأسباب التقدم الحضاري والقضاء على التخلف الفكري ، لكن هذه المساعي فشلت بتجنيب تونس الإستعمار الفرنسي الذي فرض عليها الحماية بعد التوقيع على معاهدة باردو.

المبحث الأول : الفكر التحـرري في تـونس :

1- فرض الحماية وردة الفعل الشعبية :

بعد أن وطدت فرنسا إستعمارها للجزائر، بدأت سياساتها الإستعمارية تسعى لإحتلال تونس وضمها لمستعمراتها وجعلها ضمن مناطق نفوذها، ولم تخفي نواياها على التونسيين[1]. بدأت فرنسا تعد في كيفيات السيطرة على تونس مستغلة الظروف التي تميزت بتورط تونس في دوامة المديونية تجاه الدول الأوربية، ونظرا لعجزها الإقتصادي الذي آل بها إلى الإفلاس وعدم القدرة على الإيفاء بسداد ديونها الدولية ، هذا ما جعلها تظهر ككيان سياسي في حاجة لتدخل حام ي أجنبي، من بين المتعاقدين الدوليين فاز بهذا الدور الإستعمار الفرنسي الذي ضمن تونس تحت تجربة الحماية كصيغة قانونية وسياسية تحدد علاقة المستعمر بالمستعمر، وهذا من أجل مهمة حماية ورعاية المحمي القاصر الذي أثبت عدم أهليته في تسيير شؤونه، فتم على إثر ذلك عرض الحماية الفرنسية على تونس وهذا بعد التوقيع على معاهدة "باردو" (أنظر الملحق رقم 1)، من طرف الباي محمد الصادق في 12 ماي 1881[2] الذي تخلى عن صلاحياته في الإشراف على الشؤون الخارجية للوزير المفوض الفرنسي، وأبقت فرنسا صورة الباي شكلية بعد أن إنتزعت منه أغلب الصلاحيات تدريجيا وعملت على تغيير الهياكل الإدارية والقضائية والمالية للبلاد التونسية، وإتخذت كل الإجراءات التي تهدف إلى تطبيق الإدارة الفرنسية والمنهج المعادي للإسلام.

ومن خلال هذه الممارسات بدأت القبائل التونسية في الوسط والجنوب تعلن التعبئة العامة لمقاومة

1 – الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص14.

2 – حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، دار الكتب الشرقية، تونس، 1953، ص170.

الإحتلال، فنسيت هذه القبائل الخلافات التي كانت بينها، وعملت على رفض الحماية والتكتل لمواجهة الإحتلال والعدو المشترك ، فبرز بين رؤساء هذه القبائل "علي بن خليفة" * شيخ قبيلة نفات [1]، بدأ هذا الأخير الإتصال مع القوات العثمانية في طرابلس من أجل مقاومة الإحتلال الفرنسي، لقد إمتدت أعمال القبائل بالوسط حتى إلى ضواحي العاصمة تونس إذ وصل أكثر من 500 فارس، و 2000 جندي من المشاة التابعين لعلي بن خليفة في مكان يبعد حوالي 10 كلم من العاصمة، فشنوا هجومات على بعض الضيعات الفرنسية بتاريخ 17 جويلية 1881[2].

كما توجهت مجموعات أخرى من المقاومين نحو إيالة طرابلس الغرب أملا في الدعم العثماني للعودة لتحرير الوطن في ظروف حربية متكافئة [3]، وهذا ماينفي رأي جوليان الذي قال على التونسيين أنهم شعروا بقوة السلطة الفرنسية فإستكانو[4].

وخلال تزايد نشاط المقاومة المسلحة بدأت تعرف تونس موجات كبيرة من الهجرة خارج البلاد خاصة نحو إيالة طرابلس وتشير الإحصائيات أن عشر السكان قد هاجروا، حوالي 120 ألف شخص، هذا ماسهل لفرنسا إستكمال سيطرتها العسكرية على كامل إيالة تونس، رغم الغارات المتكررة على المواقع الفرنسية، إنطلاقا من طرابلس وتبين عجز السلطة العثمانية في التدخل العسكري في المسألة التونسية، في حين وعدت سلطة الحماية الراغبين في العودة إلى بلادهم بالأمان في أوت 1882، فتكثفت حركة العودة إلى البلاد خاصة بعدما هددت سلطة الحماية بإنتزاع أملاك الذين رفضوا الإستجابة لدعوة العودة[5].

بعد إنتشار القوات الفرنسية في البلاد التونسية وإستتب لهم الأمر عقدت السلطات الإستعمارية مع الباي إتفاقية جديدة تعرف بإتفاقية "المرسى" بتاريخ 8 جوان 1883 (أنظر الملحق رقم 2) من أجل توطيد حمايتها على تونس وتجريد الباي من الصلاحيات التي بقيت في يده[6].

---

1 – محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي**...، المرجع السابق، ص ص125-126.

2 – أحمد القصاب، المرجع السابق، ص35.

3 – مجموعة مؤلفين، **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الإستقلال**، ج3، مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية، تونس، 2005، ص ص26-27.

4 – يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين**، دار هومه، الجزائر، 2014، ص22.

5 – مجموعة من مؤلفين، **تونس عبر التاريخ** ...، المرجع السابق، ص27.

6 – علي محجوبي، المرجع السابق، ص97.

هذا ماجعل المقاومة الوطنية تغير شكلها وبدأت تتجه للعمل السياسي، وبدأت القناعات بإنتهاج أسلوب المقاومة السلمية السياسية، بعد أن تأكد فشل أسلوب المقاومة المسلحة بسبب ثقلها المادي وترجيح كفت الإستعمار بصفة مطلقة رغم بسالة وشجاعة المقاومة التونسية.

2- جذور الفكر التحرري في تونس :

يبدوا أن الوهن الذي أصاب المقاومة في الجنوب التونسي قد وضع حدا للصعوبات التي واجهتها سلطة الحماية، وقد أصبحت الجيوش الفرنسية مهيمنة على كامل البلاد التونسية ، وكأنه قد حكم عليها بقبول النظام الجديد بصورة سلبية ولمدة طويلة ، لكن التاريخ قد بين أن الشعب التونسي من الشعوب المغلوبة لايستسلم بروحه وقلبه، فإذا ما حانت الساعة، إن آجلا أو عاجلا، يسخر جميع قواه لينتزع حقه وكرامته وحريته، فبعد الصدمة الأولى في النفوس بعد فرض الحماية عاد الوعي الديني، وإقتنعوا أنه لا سبيل لإنقاذ أنفسهم ومقاومة القوى المادية التي تسحقهم إلا بالإتحاد في كتلة واحدة وفي كنف الدين الإسلامي [1]. وعلى هذا سيرتكز النشاط الوطني للنخبة التونسية خاصة التوعية الثقافية والفكرية لسكان البلاد في إطار من التفتح على العصر والأخذ بأسباب الرقي إسو ة بالغرب المتقدم والإقتباس منه، لقد أدركت النخبة التونسية أن الهوة بين البلدان الإسلامية المغلوب على أمرها والغرب المتطور إنما تكمن في التخلف الحضاري الذي ران على الشرق بسبب إنغلاقه ورفضه مواكبة مايجري في البلدان الأوربية من تطور إقتصادي وتقني وعسكري، فإختل التوازن وحل الإحتلال .

من جهة كان الإعتقاد سائد لدى النخب أن المواجهة المباشرة مع المستعمر في تونس آتية لاريب فيها ولكن خوضها والأوضاع على ماهي عليه عملية ميؤوس من نجاحها، ولذلك عقدت العزم على إنجاز عمل في العمق يحرك السواكن ويبعث الوعي لدى الخاصة والعامة، وإرتكز عملها هذا على ثلاثة عناصر هي الصحافة والتعليم والعمل الجمعياتي[2].

وبظهور حركة "العروة الوثقى" سنة 1882 إلى الوجود وكانت ذات طابع سري أسسها المناضل الإصلاحي جمال الدين الأفغاني وهدفها تحرير العالم الإسلامي وتوحيده، فإنضم إليها من المغرب العربي الشيخ محمد بيرم الخامس، والأمير عبد القادر الجزائري. وفي سنة 1882 حكمت فرنسا في

1 - أحمد القصاب، المرجع السابق، ص ص 486-487.

2 - مجموعة من المؤلفين، **موجز تاريخ تونس** ...، المرجع السابق، ص100.

تونس بالنفي على الشيخ محمد السنوسي إلى القاهرة وهناك تعرف على أهداف الحركة.

وفي سنة 1883 عاد محمد السنوسي إلى تونس وبدأ يعمل ويبشر وينشر مبادىء العروة الوثقى[1]، وقد وجدت هذه الفكرة إستجابة قوية في أوساط التونسيين وحماسا كبير ا، خاصة علماء جامع الزيتونة الثائرين، وأصبح لحركة العروة الوثقى في تونس تأثير كبير وملحوظ، وكافح التونسيون في سبيل نشر مبادئها بكل الإمكانيات، وكان من أبرز أعضائها المؤسسين في تونس الشيخ محمد بير م الخامس والشيخ محمد السنوسي والشيخ سا لم بوحاجب وهم اللذين أوحوا للأفغاني ومحمد عبدو بفكرة إصدار مجلة "العروة الوثقى"[2].

– اثر زيارة محمد عبدو لتونس:

زار الشيخ محمد عبدو تونس في نوفمبر 1884 إستمرت أربعين يوما إتصل خلالها بأركان الحركة الإصلاحية وعلماء جامع الزيتونة [3]، وقام بتوثيق الصلة بينهم وأجج التعاون عمليا بعد أن كان معنويا[4]، وعقد الشيخ إجتماعات تنظيمية بأعضاء جمعية العروة الوثقى الذين إنخرطوا فيها بتأثير من الشيخ محمد السنوسي، إستطاع أعضاء هذه الجمعية أن يشرحوا للشيخ الآلام التي تعانيها تونس جراء السياسة الإستعمارية.

شعر الشيخ عند مغادرته البلاد التونسية بإرتياح لما وجد عليه أعضاء العروة الوثقى من التونسيين من تحمس لرسالة الجمعية، وإيمان لا يتزعزع وهذا بهدف توحيد الأمة العربية والإسلامية في كافة أقطارهم، كما ربط أعضاء العروة الوثقى بتونس صلة وثيقة بمجلة "المنار" ، التي كانت تصدر بالقاهرة، ولم تنقطع الصلة النضالية على مر الزمان بينهم، وبقيت موجودة رغم محاولات كثيرة من الإقليميين ودعاة الإنعزالية في المشرق والمغرب[5].

كما يرجع بعض المؤرخين أن الفكر الإصلاحي الثقافي في تونس قد إستمد جذوره من الحركة الإصلاحية قبل الوجود الفرنسي في تونس، ونما الشعور به خاصة بعد الإحتلال وذلك حين وقع

---

1 – الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص31.

2 – يوسف مناصرية، **الحزب الحر الدستوري التونسي 1919–1934**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988، ص21.

3 – نفسه، ص32.

4 – عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص9.

5 – الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص32.

إصطدام الحضارة الأوربية الغالبة ولغتها الفرنسية المتطورة بالحضارة الإسلامية المغلوبة ولغتها العربية المتخلفة[1].

وعلى هذا كان زعماء الإتحاد الإسلامي في تونس أتباع سياسة الشيخ محمد عبدو والعمل على الحفاظ على الشخصية الإسلامية في تونس والدفاع عن مقوماتها، وإحتجابهم عن المس بالمقدسات الإسلامية.

وظهرت فكرة الجامعة الإسلامية بوضوح أكثر عند زعماء هذا الإتجاه خاصة عند الجيل الثاني مثل عبد العزيز الثعالبي الذي أصبحت الفكرة ناضجة لديه منذ تسعينات القرن التاسع عشر حتى كان يراسل الجرائد المصرية ، وعمل على إبراز أمراض المجتمع الإسلامي وأسرار حياته العقلية والإجتماعية وتوضيحها لأولياء أمور المسلمين لإنقاذ الخلافة من التدهور الذي أحاط بها[2].

توسعت فكرة الحركة الإسلامية مطلع القرن العشرين في أرجاء العالم الإسلامي، وقد إتجهت هذه الحركة نحو توحيد جهود المسلمين والعمل على ترقيتهم الفكرية ثم السياسية، وتجلى عملها خصوصا في حركة النهضة السياسية والإجتماعية والثقافية والدينية، ولم تكن الحركة الوطنية التونسية في معزل عند هذه الحركة بل هي جزء منها وفي صلة وثيقة بالحركة الوطنية الليبية والحركة المصرية ، وكان للحركة الإسلامية الأثر البعيد في تكوين الحركة التونسية ونضجها وتحديد إتجاهها بعد مرحلة اليأس والقنوط من سياسة التعاون مع الفرنسيين[3].

3- تبلور النضال التحرري في الحركة الوطنية التونسية:

ساهمت الحركة التعليمية في البلاد التونسية قبل إنتصاب الحماية في نشر المبادىء العصرية التي عمل رواد الإصلاح على التعريف بها ، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فكان لتأسيس المدرسة الحربية بباردو والمعهد الصادقي 1875 وتواصل المد الإصلاحي الوطني في فترة الحماية بظهور الجمعية الخلدونية 1896، وجمعية قدماء تلاميذ المعهد الصادقي.

كما ساهمت التحولات التي شهدها المحيط الجيوسياسي المتوسطي في تطور الحركة الوطنية التونسية

1 - يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية** ...، المرجع السابق، ص334.

2 - نفسه، ص ص335-336.

3 - نفسه، ص60.

ودفعها[1].وإعتبار أن الخلدونية وماصاحب بعثها ونشاطها من إختلاف في الرؤى وصراع بين قوى محددة وأخرى محافظة مشدودة إلى الماضي، أدخل حيوية لامثيل لها على الساحة الفكرية التونسية في بداية القرن العشرين[2]، وبدأت تظهر النواة الأولى للنضال السياسي التونسي.

أ. ظهور حركة الشباب التونسي :

بداية القرن العشرين كانت البواعث على نشأة تنظيم سياسي تمثل في "حركة الشباب التونسي"، فكان عبارة عن محاولات فردية قام بها بعض رجالات تونس المعارضة لسلطة الحماية ومقاومة مشروعاتها الإستعمارية[3].

وفي فيفري 1907 ظهرت جماعة "الشباب التونسي jeunes tunisiens" إلى الوجود واصدارت جريدة "التونسي" ومن أبرز أعلامها المحامي علي باشا حانبه* الجامع بين ثقافة أوربية متينة، وتكوين عربي اسلامي صحيح، فكان مسلحا أكثر ممن سبقه من الوطنيين للدفاع بني قومه في كفاحه السياسي ، فكان هؤلاء النخبة المصلحين عندما واصلوا عملية نقد مجتمعهم وتربيته وجعله يلتحق بركب الحضارة الأوربية المتقدمة من الناحية الإجتماعية والثقافية والتكنولوجية والسياسية، إلا أن إعجابهم بتلك الحضارة كان لا يمنعهم من التأكيد على إنتمائهم إلى حضيرة الإسلام ومن التعبير عن عطفهم على "حركة تركيا الفتاة" والتضامن معها في وقت لاحق، ولقد أسهموا أيما إسهام في بلورة أوضح لمفهوم "الأمة التونسية" والدفاع عنها، رغم هذا إلا أنهم لم يكونوا مناهضون لنظام الحماية على تونس[4].

قام الحزب الفتي "الشباب التونسي" بحملة سياسية واسعة النطاق بسبب الإعتداء الإيطالي على طرابلس الغرب، ولعب علي حانبه دورا فعالا في هذه الحملة، وأصبح همزة وصل بين السفارة العثمانية في باريس والقيادة العثمانية في طرابلس[5]، لكن سرعان ما إعتقلت سلطات الإحتلال الفرنسي

---

1 – مجموعة مؤلفين، **تونس عبر التاريخ** ...، المرجع السابق، ص63.

2 – مجموعة مؤلفين، **موجز تاريخ الحركة** ...، المرجع السابق، ص28.

3 – الحبيب ثامر، المرجع السابق، ص83.

* – علي باشا حانبه : ولد بالعاصمة تونس (1867–1918)، زاول دراسته بالمدرسة الصادقية، وأحرز عام 1906 م على شهادة الحقوق ، ليصبح محاميا ، وفي 1908 م أسس جريدة التونسي ، واتهمته السلطة الفرنسية في الضلوع في أحداث 1912م فنفته إلى فرنسا ومن هناك نحو تركيا. للمزيد أنظر، محمد بوذيبة ، مرجع سابق ، ص355 .

4 – محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص113.

5 – سمير الأمين، **المغرب العربي الحديث**، تر، جميل داغر، دارالحداثة، لبنان، 1980، ص137.

زعماء الحزب التونسي خاصة بعد أحداث الزلاج* في 1911[1]، التي وقع على إثرها مظاهرات وصدامات في كل مكان بتونس، سقط على إثرها عددا من القتلى التونسيين فحلت سلطات الحماية الحزب بعد إتهامه بالوقوف وراء أحداث، بالإظافة الى اتهامهم بتحريض السكان مقاطعة الترموای.

إختار زعماء حزب تونس الفتاة الإقامة في الأستانة بعد أحداث الزلاج و الترام، لمواصلة كفاحهم ضد الإستعمار الفرنسي، وإعتمدوا على الدعم الألماني في سبيل كفاحهم [2]، وأثناء الحرب العالمية الأولى أكدت الحركة الوطنية التونسية ثباتها نحو تأكيد الشعور الوطني وإنفتاح كبير على الساحة الدولية التي يسودها الإضطراب ، ففي 7 جانفي 1916 تأسست لجنة من طرف شبان جزائريين وتونسيين برئاسة الشيخ صالح الشريف وإسماعيل الصفاتحي ومحمد مزيان التلمساني، مهمتها تتمثل في إصدار منشورات وكتابات دعائية بلغات متعددة لصالح قضايا المغرب العربي والعالم الإسلامي، بحيث تفرعت هذه اللجنة عن لجنة مماثلة أسسها علي باشا حانبه بإسطنبول ولها فرع آخر في جنيف السويسرية بقيادة محمد باشا حانبه.

وجد أعضاء حركة الشباب التونسي أثناء الحرب العالمية الأولى أنه لم يعد بإمكانهم الحصول على مساعدة ألمانيا والدولة العثمانية بسبب بوادر إنهزامهما في هذه الحرب، هذا ما أدى إلى تلاشي الحزب[3].

ب . الحزب الدستوري التونسي :

ما إن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى تنادى رفاق علي باشا حانبه إلى البدء بعمل سياسي منظم يجمع الطليعة التونسية كلها، وكان عبد العزيز الثعالبي الزعيم التونسي الذي تلتف حوله طليعت الجماهير، والنخبة التونسية المثقفة من المسلمين واليهود فعقد أول إجتماع سنة 1919

---

1 – الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص50.

* – أحداث الزلاج : هي انتفاضة بتونس بسبب مقبرة تعرف بالزلاج ، حيث أرادت السلطة الفرنسية تحويلها من الأوقاف التونسية إلى الملكية الفرنسية والاستحواذ على جزء منها لإنجاز ممر لخطوط السكك الحديدية ، مما أثار غيض أهالي تونس فقامت ثورة انتهت بموت العديد منهم. للمزيد أنظر، أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح(مذكرات) في تونس 1905–1925**، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973،ص ص44–45.

2 – أنور الجندي، المرجع السابق، ص11

3 – الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص54.

حضره المسلمين واليهود لمناقشة كيفية تقديم عريضة بإسم التونسيين إلى دول الحلف للمطالبة بتقرير المصير [1]، إلا أن الخلافات الجذرية بين متشددين إتجاه الإستعمار بقيادة الثعالبي، وفئة يفضلون الإصلاح التدريجي يتزعمه اليهود وبعض المسلمين[2].

إستمرت فيما بعد الإجتماعات في غياب اليهود من أجل العمل على ضرورة الدخول في معركة ضد الإستعمار تعتمد أساسا على المطالبة بدستور يضمن حق التونسيين في تسيير شؤونهم، وكان من نتائج تلك الإجتماعات أن تم إعلان عن ميلاد "الحزب الدستوري التونسي" شهر مارس 1920[3] بمنزل "علي كاهية" بنهج الباشا وأقسم المؤسسون على يمين الإخلاص للحرب وتم إنتخاب هيئة تنفيذية وإنتخاب عبد العزيز الثعالبي رئيسا للحزب وأحمد الصافي* أمينا عاما له[4].

هذا الحزب سيكون له دور كبير في عشرينات القرن الماضي، أما عن غاية الحزب التي يهدف إلى تحقيقها في المدى البعيد هي الإستقلال، بينما المطالب التي سيفاتح بها الوفد الدستوري كلا من الباي والمقيم العام الفرنسي هي مطالب مرحلية فقط، وسيعيش الحزب في ظلها إلى أن يصبح الإستقلال مطلب الرأي العام التونسي، وتعهد المنخرطون في الحزب نشر أفكاره والسعي لإدخال الناس في شعبه[5].

ساند باي تونس "محمد الناصر" هذا الحزب وأخذ يطالب فرنسا رسميا بإنجاز مطالب شعبه فتوترت العلاقات بينه وبين فرنسا ، حتى هددها بالتخلي عن العرش إذا لم تنفذ مطالب شعبه، حاول المقيم العام إرجاعه عن موقفه بكل الطرق حتى إضطر لمحاصرة القصر الملكي يوم 15 أفريل 1922، مما أدى إلى ثورة الشعب عن هذا الإعتداء وقامت مظاهرات شعبية في كامل التراب التونسي للباي.

لم يرجع الباي عن قراره إلا بعد أن قدم له المقيم العام وعود صريحة بإجابة المطالب، شرط تأجيلها

---

1 – محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص84.

2 – عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص14.

3 – مجموعة من المؤلفين، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية**...، المرجع السابق، ص62.

* – أحمد الصافي : ولد بتونس سنة 1881، إنخرط في الحزب الدستوري منذ تأسيسه وأصبح أمينه العام، وكان له عدة نشاطات داخل الحزب للتعريف بالقضية التونسية، كان من الكتلة المعتدلة داخل الحزب، توفي بتونس سنة 1935. للمزيد أنظر، محمد بوذينة، **مراثي المشاهير**، منشورات محمد بوذينة، شركة أوريس للطباعة، تونس، 1994، ص282.

4 – امحمد يزير ، المرجع السابق، ص72.

5 – يوسف مناصرية، المرجع السابق ، ص56.

إلى مابعد زيارة الرئيس الفرنسي "ميلراند Millerand"* التي كان ينوي القيام بها إلى تونس، وبعد هذه الزيارة أصدر المقيم العام أوامر إستثنائية قضى على الحريات العامة ومنع التجمعات وسلط العقوبات على قادة الرأي ، ونفي البعض خارج تونس فإضطر الثعالبي مغادرة تونس سنة 1923 رافعا لواء الجهاد التونسي بين الشعوب العربية والإسلامية[1] بعد أن شددت عليه سلطة الإستعمار الخناق، ومما زاد تأزم الحزب دخول ولي العهدالأمير "محمد الحبيب" في صراع معهم بعد توليه العرش وهددهم بكشف أسرار الحزب، فكان قرار الحزب هو وضع حد لهذا الخلاف بسفر الثعالبي مضطر إلى خارج تونس[2].

إذا كانت سلطة الحماية قد ضيقت على رجال الحزب الدستوري بالنفي والإبعاد فإنها كانت تضيق على صحافتها العربية فأوقفت جريدة الصواب سنة 1922 وجريدة العصر سنة 1924 وجريدة إفريقيا في 1925 وغيرها، ومنعت صدور صحافة عربية للحزب الدستوري[3].

إحتج رجال الحزب على هذه السياسة الإستعمارية لكن سلطة الإحتلال قابلتهم بالتعنت والتمادي في الحد من نشاط الصحافة الحزبية وعطلت جريدتي "الوزير" و "النهضة" سنة 1931، ونهاية العشرينات وبداية الثلاثينات ظهر دستوريون جدد أمثال الشاذلي خير الله والحبيب بورقيبة** والطاهر صفر[4]، وبدأت تطرأ تغيرات داخل الحزب ب ظهور نخب متأثرة بالقيم العصرية العربية ومتشبعة بأفكارها المناهضة للإستعمار، إلا أن هذه الأفكار وهذه المناهج لم تكن تشاطر رأي المحافظين

1 – الحبيب ثامر، المرجع السابق، ص ص88-89.

* – ميليران (1859-1943): رجل سياسي فرنسي إشتراكي، تقلد وزارة الحربية الفرنسية ما بين 1914-1915، إنتخب رئيسا للجمهورية الفرنسية ما بين 1920-1924. للمزيد أنظر، بسام العسلي، **الأمير خالد والدفاع عن جزائر الإسلام**، دار النفائس، لبنان، 1984، ص143.

2 – محمد رحماي، المرجع السابق، ص55.

3 – يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص224.

** – الحبيب بورقيبة (1903-2000): ولد بالمنستير، تعليمه الأول كان بمسقط رأسه ثم درس في الصادقية، إنخرط في جيش الباي مرغما، بعد حصوله على البكالوريا 1924 إنتقل إلى باريس للدراسة نال فيها شهادة الحقوق، بعد عودته إلى تونس إنخرط في الحزب الدستوري لينشق عنه 1934 ويؤسس الحزب الدستوري الجديد. للمزيد أنظر، عز الدين معزة، المرجع السابق، ص ص97-98.

4 – يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص226.

الدستوريين، لذا إبتداءا من نوفمبر 1932 قام بورقيبة و أنصاره بإصدار جريدة جديدة "العمل التونسي" وظل فريق عمل هذه الجريدة اعضاء في الحزب الدستوري إلا أنه بدأ يبعد عن الزعامات الأخرى التي عاب عليها سلوك الخمول والليونة وبدأ الصراع بين الدستورين الجدد والزعماء التقليديين للحزب، إنتهى بإنقسام الحزب وهذا بظهور الحزب الدستوري الجديد بعد مؤتمر "قصر الهلال" في مارس 1934[1]، وإستطاع هذا الحزب أن يكسب تأييد منقطع النظير على حساب الحزب الدستوري القديم الذي لم يستطع فعل أي شيء، وحتى بعد عودة الثعالبي سنة 1937 لم يستطع أن يسترجع النفوذ الذي كان يتمتع به بداية القرن الماضي [2] رغم محاولات الثعالبي للتقريب بين جناحي الحزب القديم والجديد إلا أن هذه المساعي لم تحقق الأهداف وباءت بالفشل.

1 – أحمد عبيد، **التماثل والإختلاف في حركات التحرر المغاربية (الجزائر، تونس، المغرب)**، إبن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص188.

2 – عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1999، ص202.

المبحث الثاني : عبد العزيز الثعالبي وإسهاماته في تحرير تونس :

1- النشأة والتكوين :

أ . المولد والنشأة :

عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي جزائري ينتسب الى العالم المتصوف المشهور عبد الرحمان الثعالبي ،ولد في سنة 1874 بتونس[1] ، من عائلة عرفت بالدين والتقوى فيقول الثعالبي عن أصله :"إني أنحدر من عائلة معروفة جدا في الجزائر ... وإن شهرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي * ليست في حاجة إلى الذكر"[2]، يتصل نسبه بآل البيت، ولما كان للعائلة من شهرة في العالم مكنتهم من إحتلال مناصب خاصة في الجزائر عهد الحكم التركي، فبرز منهم علماء وقضاة خاصة في بجاية وكانوا مخلصين في خدمة الإسلام والعروبة، وكان جده الأخير عبد الرحمان الثعالبي من زعماء المقاومة ضد الإستعمار الفرنسي للجزائر، وأصيب برصاص العدو في صدره بقيت آثارها وكان يكشفها لحفيده عبد العزيز في صغره ويذكر له الجزائر والإستيلاء عليها، وهجرته هو وغيره من الجزائريين من ذلك الإستيلاء[3].

تميز عبد العزيز الثعالبي بذهن حاد وحافظة قوية ورغبته الملحة في البحث عن قضايا تخص المجتمع والحقائق التاريخية، أكسبته هذه المواهب نبوغا في الفهم والتفكير.

ب . تحصيله العلمي :

كانت نشأة الثعالبي في كنف جده عبد الرحمان الثعالبي الذي تولى رعايته وتربيته تربية إسلامية أصيلة[4]، فحفظ القرآن الكريم وسنه إحدى عشر سنة،دون أن يلتحق بالكتاتيب تابع دروسه بمدرسة السويقة الإبتدائية أدخل إلى جامع الزيتونة الأعظم سنة 1890، زاول الدراسة التقليدية فيه

---

1 – عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص5.

2 – نقلا عن عبد العزيز الثعالبي، **سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية(132هـ / 750م)**، تح، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995، ص21.

* – عبد الرحمان الثعالبي : من كبار الصوفية في الجزائر تعلم في بجاية وتونس ومصر، تولى القضاء في مدينة الجزائر واستقر بها وأسس فيها زاوية معروفة واشتغل في التدريس والتأليف، من اهم مؤلفاته ،الجواهر الحسان في تفسير القرآن . للمزيد انظر، نخبة من المؤرخين، **معجم مشاهير المغاربة**، جامعة الجزائر،1995، ص124.

3 – عبد الحميد إبن باديس، مجلة الشهاب، ألمج13، ج7،(1936-1937)، دار الغرب الإسلامي، لبنان،2011، ص316.

4 – حمادي الساحلي ومنصف الشنوفي، **موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، المنظمة العربية للتربية والثقافة**، دار الجيل، لبنان،2005، ص812.

من العلوم كالنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والجدل والفقه والعقائد والحساب والفرائض [1]... ومن خلال مواهبه أكسبته مما درس وقرأ نبوغا في الفهم والتفكير والخطابة والكتابة [2]، وبدأ يتعرف على أفكار المصلحين والمجددين، فارق جامع الزيتونة قبل إتمام الدراسة والإحراز على شهادة التطويع، وقيل أنه تابع دروسه بالمدرسة الصادقية والخلدونية، والأرجح أنه كان يتردد على دروسهما وخصوصا الخلدونية التي تؤمها النخبة التونسية المستنيرة، بخلاف الصادقية التي ضعف دورها مع حلول الحماية بتونس [3]، وتذكر المصادر أنه لم يكن راضي عن التعليم المقدم في الزيتونة لأنه ليس في مستوى تطلعات ومتطلبات المجتمع التونس، يذكر أن الثعالبي كان ينتقد الدروس و كتب التدريس ودروس المشائخ ويكثر من السؤال والإعتراض عليهم، ما نفر البعض منه، وهذا النقد والإعتراض لم يكن من باب العبث والشغب بل كان يهدف إلى إحداث تغيير نحو الأحسن في مناهج التعليم الزيتوني، وإعتماد الطرق العصرية للنهوض بالأمة فكريا وماديا[4]، هذا ماجعل الثعالبي ينقطع عن التعليم في الزيتونة. تتلمذ الثعالبي على يد صفوة من الأساتذة منهم البشير صفر **، سالم بوحاجب [5]، الشيخ سيدي حسين بن حسين، الشيخ محمد ابن الخوجة وغيرهم، إلا أنه لم يتعلم اللغة الفرنسية، فكتابه "روح التحرر في القرآن" و"تونس الشهيدة" كتبهما باللغة العربية، وأوكل الترجمة إلى بعض أصدقائه. إستنار عقل الثعالبي وتوسعت معارفه وبدأ يحس بوجوب المطالبة بالإصلاحات السياسية والإجتماعية والتعليم العام،ونبذ الخرافات والأوهام والبدع الفاسدة، وتأثر في ذلك بأساتذ ه المصلحين مثل المكي عزوز وسالم بوحاجب وغيرهما ممن ورثوا الإصلاح عن الوزير خير الدين، وقد إنقسمت حياة الثعالبي

1 – محمد رحاي، المرجع السابق، ص50.

2 – عبد الحميد إبن باديس، المصدر السابق، ص316.

* – التطويع : شهادة يتوج بها طالب العلم بعد تخرجه من جامع الزيتونة، تغيرت بعد سنة 1933 بشهادة التحصيل.

3 – يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص122.

4 – امحمد يزير، المرجع السابق، ص34.

** – البشير صفر : محمد البشير الصفر : ولد في 1856 م كان من تلامذة الصادقية ، انتقل إلى فرنسا ولكن دون إنهاء تعليمه ،اشتغل مترجما ثم رئيسا لقسم المحاسبة ، ثم ترأس جمعية الأوقاف ، والجمعية الناصرية ، أسس جريدة الحاضرة مع علي بوشوشة. للمزيد أنظر ، محمد حمدان ، المرجع السابق ، ص 206 .

5 – محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982، ص213.

إلى قسمين: حياة عامة إهتم فيها بالكفاح السياسي وإستقلال تونس من وطأة الإستعمار، وحياة فكرية عمل فيها على نهضة العالم العربي الإسلامي علميا وحضاريا[1].

ج . رحـلات الثعالبي :

إهتم الثعالبي بالتجول والترحال إلى مشارق الأرض ومغاربها، ومما لاشك أن هذه الرحلات تمثل المحطات الأساسية في حياته النضالية والفكرية الخاصة بوطنه تونس أو العامة للوطن العربي والعالم الإسلامي.

كانت أول رحلة قام بها عبد العزيز الثعالبي إلى وطنه الأم مواطن الآباء والأجداد الجزائر في شهر أكتوبر 1895، لمدة شهرين زار العديد من المدن كقسنطينة، سطيف، الجزائر، عبر فيها الثعالبي عن فرحته وسروره بهذه الزيارة وهذا من خلال قوله مخاطبا وطنه الأم " أول يوم وطئتك فيه قدمي شعرت بهزة الفرح وأدركت لذة السرور وقبله ماكنت أعرف الفرح ولا أدري ما السرور"[2].

أما الرحلة الثانية للشيخ عبد العزيز الثعالبي كانت في شهر أوت 1896 متنكرا نحو طرابلس الغرب أقام بها شهرين نشر فصولا هامة حول مواضيع مختلفة في الجريدة اليومية "الترقي الطرابلسي"، غادر بسبب الضغط عليه من طرف والي طرابلس الغرب سليمان نامق باشا [3]، لينتقل بعدها إلى بنغازي أقام فيها شهرين، ثم إتجه نحو جزيرة "كريت" وبعدها إلى اليونان إلى أن دخل الأستانة أقام بها سنة كاملة، نال أثناءها ما كان يرغب فيه، من الإطلاع على الشؤون العامة للمسلمين والإلتقاء بعظماء المسلمين، فتعرف على الأتراك والعرب والبربر والأفغان والهنود والمصريين، ألم بقضايا الشرق السياسية، ولحسن حظه إتصل بالشيخ أبي الهدى أفندي (الصيادي) الذي عرض عليه منصبا ساميا في وزارة المعارف لكن الثعالبي رفض معلنا أنه لم يكمل تكوينه، وإنه متعطشا للتعليم من خلال ما يلاقيه من رجال وما يزوره من البلدان معللا الرفض بأنه لو قبل الوظيفة لإنقطع عن توسيع دائرة معارفه[4].

---

1 – يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص122.

2 – نقلا عن أحمد بن ميلاد ومحمد مسعود إدريس، **الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية 1882–1940**، بيت الحكمة، تونس،1991، ص ص12-13.

3 – عبد العزيز الثعالبي، **سقوط الدولة الأموية**...، المصدر السابق، ص26.

4 – نفسه، ص27.

إتجه الثعالبي بعدها إلى مصر في نوفمبر 1997 أقام فيها ثلاثة أشهر حظي بإحترام كبار المفكرين والعلماء ورجال الأدب، فكتب في مجلة "الموسوعات" فصل يتضمن أفكاره المتألقة حول مستقبل العالم الإسلامي، وتطرق فيها إلى الداء الذي ينخر جسم العالم الإسلامي، ودوائه مقترحا عقد مؤتمر إسلامي عام[1].

لزم الشيخ عبد العزيز الثعالبي دروس الأزهر ووطد علاقته بعدد من العلماء والأدباء ورجال الفكر أمثال "محمد رشيد رضا"* و"أحمد تيمور" و"أحمد زكي باشا" وتتلمذ على يد "جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبدو"، وفي الفترة الممتدة مابين 1898 إلى غاية 1902 تنقل الثعالبي بين الأستانة ومصر فكان يقضي الصيف في شواطىء البوسفور ويقضي الشتاء على ضفاف النيل ويقضي الربيع في الترحال حول بلدان العالم[2].

عاد الثعالبي إلى تونس سنة 1903 متشبعا بالفكر الإصلاحي الإسلامي بعد إحتكاكه بأ برز رواده، أقام بتونس بضعة أشهر لينتقل إلى الجزائر ثم المغرب الأقصى ويعود إلى تونس سنة 1904، وترفع عليه دعوى قضائية بتهمة التطاول على الإسلام والأولياء الصالحين، أودع السجن في 28 جوان 1904 حكم عليه بالسجن لمدة شهرين [3]، بعد خروجه من السجن ركز على الإصلاح السياسي وتصدي لحركة الإستعمارية ، إستمر في هذا النشاط إلى أن تم إلقاء القبض عليه وعلى "علي باشا حانبه" وهذا بعد أحداث الزلاج في 07 نوفمبر 1911 وما صاحبها من إضطرابات ومقاطعة شعبية خاصة على شركة ترموای فيفري 1912، تم نفي الثعالبي إلى مرسيليا ومنها سافر إلى الأستانة، إشتغل بمهمة التفتيش العام للمكتبات التابعة للأوقاف، مما جعله يستفيد من مطالعة كتبها النادرة النادرة ، وبعد شهرين غادر إلى مصر ثم إلى اليمن ويدخل بعدها إلى الهند والصين ثم عاد إلى اليمن ومصر زادت هذه الرحلات في فهمه اكثر لما تعانيه الامة الاسلامية وكيفية النهوض بهذا.

---

1 – أحمد بن ميلاد ومحمد مسعود إدريس، المرجع السابق، ص33.

* – محمد رشيد رضا : ولد بلبنان 1865، وهو مؤرخ وأديب نشأ على المبادىء الإسلامية، أنشأ مدرسة الدعوى والإرشاد، إنتخب رئيسا للمؤتمر السوري وعضو بمجمع العلمي العربي السوري. للمزيد أنظر عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج2، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1993، ص530.

2 – عبد العزيز الثعالبي، **سقوط الدولة الأموية**...،المصدر السابق، ص29.

3 – امحمد يزير،المرجع السابق، ص43.

وبرفع قرار النفي على الشيخ عبد العزيز الثعالبي عاد إلى تونس في 1914 وإستقر بها، وإقتصر نشاطه على اللقاءات السرية بسبب منع النشاط السياسي وتعطيل الصحافة بسبب الظروف الراهنةالمتمثلة في الحرب العالمية الأولى[1].

غادر عبد العزيز الثعالبي وطنه بعد أن تعرض إلى مضايقات كبيرة من طرف المقيم الفرنسي سنة 1923 بعد التضييق على الحزب الدستوري، فمكث خارج تونس أربعة عشر سنة دون إنقطاع فتجول من إسطنبول إلى مصر والحجاز والعراق وحتى وصل الهند التي مكث فيها ثلاثة سنوات ثم غادر نحو سنغافورة والصين ويعود إلى مصر منها إلى تونس سنة 1937[2].

د . آثـاره :

د . 1 . الآثار المنشورة في حياته :

- روح التحرر في القرآن (باريس 1905).
- تونس الشهيدة (باريس 1920).
- سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية (132هـ-750م)، ظهر الكتاب بشكل حلقات منشورة تباعا في مجلة " الفجر" (1921-1922).
- معجز محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الجزء الأول، تونس 1938.
- مقالات في التاريخ القديم، نشرت تباعا في جريدة "الإرادة"، 1939.

د . 2 . الآثار المنشورة بعد وفـاته :

(والصادرة عن دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان) :

- مسألة المنبوذين في الهند، 1984.
- تونس الشهيدة (الترجمة العربية)، 1984.
- روح التحرر في القرآن (النص الفرنسي والترجمة العربية)، 1985.
- محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، 1985.

---

1 - أحمد طرفاوي، **عبد العزيز الثعالبي وبعض قضايا فكره، من خلال مؤلفاته**، أطروحة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجزائر،2012، ص ص20-21.

2 - عبد العزيز الثعالبي، **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1990، ص12.

- تاريخ شمال إفريقيا، 1987.
- خلفية المؤتمر الإسلامي بالقدس، 1988.
- معجز محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الجزء الثاني، 1989.

د . 3 ـ الآثار المخطوطة :

- تاريخ الهند.
- الرحلة اليمنية.
- مجموعة مقالات وفصول.
- مذكرة الثعالبي(مخطوط مفقود).

و . وفـاته :

أعتبرت المرحلة الأخيرة من حياة الثعالبي وهو في تونس، والممتدة من عودته إليها صيف 1937 إلى وفاته، مرحلة وكأنها مجمع الهموم والآلام ومصب الأوجاع والأسقام المتحدرة من الرحلة الطويلة والمضنية للثعالبي، فبعد فشله في لم الحركة الوطنية المتناحرة، وضاعت الجهود، فخلد إلى السكون والعزلة، ثم ألم به المرض بعد الشلل النصفي الذي أصابه[1].

توفي الشيخ عبد العزيز الثعالبي في غرة أكتوبر سنة 1944[2] بتونس فكانت وفاته صدمة على الوطنيين الصادقين، الذين لم يتنكروا لمجهودات الشيخ وما بذله طوال حياته من أجل الوطن التونسي، والأمة العربية والإسلامية على السواء، شيع جثمانه اليوم الموالي، الذي صادف يوم الإثنين على الساعة الرابعة بعد الزوال، من داره الكائنة بنهج الشوك بباب السويقة بتونس إلى مقبرة الزلاج [3].

مات الثعالبي عن عمر ناهز الثمانين عاما من العطاء والإصلاح، وبوفاته إنطفأت شعلة متوقده من الفكر الديني والإصلاحي والنضال السياسي.

1 – عبد العزيز الثعالبي، **الرسالة المحمدية من نزول الوحي إلى وفاته صلى الله عليه وسلم**، دار إبن كثير، لبنان، 1997، ص ص37-38.

2 – عبد العزيز الثعالبي، **سقوط الدولة الأموية**...، المصدر السابق، ص16.

3 – محمد رحاي، المرجع السابق، ص61.

2- المنهج النضالي عند عبد العزيز الثعالبي :

انقسمت حياة الثعالبي إلى قسمين، حياة عامة تهم النضال السياسي المتأصل في نفسه، والمهتم بالنهضة الاسلامية بوجه عام، أما القسم الثاني من حياته فيتمثل في النشاط السياسي بالبلاد التونسية، بالرغم أنه لا يتجزأ عن حياته السياسية الإسلامية ولا يتعارض معها[1].

كما كانت لرحلات الثعالبي خاصة الى الاستانة ومصر دور كبير في تكوينه خاصة بتشبعه بالفكر الاصلاحي الاسلامي وهذا من خلال احتكاكه برواد هذا الفكر امثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ومن تبنى افكارهم الاصلاحية [2]، وتمكن الثعالبي في هذه الرحلات من دراسة مختلف الانظمة السياسية وما كان يبدو له في مظامينة، كما اتصل بالكتاب والباحثين وربط علاقات معهم مما اكسبه اشعاع جعله بعد عودته الى وطنه حاملا لراية الاصلاح بفكر ثاقب وزاد غزير من المعارف، فأول ما بدأ به الثعالبي محاربة البدع والخرافات وكل ما التصق من شوائب بالدين الاسلامي الحنيفّ، وانكر الركود والجمود والتخلف فطالب وناضل من اجل النهضة العلمية والفكرية، فقالت عنه هيئة الاركان الفرنسية : "أنه رجل مرن في آرائه لين في وسائله، مما جعل الاحزاب المعارضة لفكره تجتمع من حوله وتنقاد اليه وتسير في ركابه"[3]، وقال الاستاذ أبو كنانة في شأن الثعالبي:" أنشأه جامع الزيتونة تنشأة الشهامة والعزة الاسلامية فكانت نشأته هذه تدفع به إلى الآفاق الواسعة حتى لا يدع قضية اسلامية دون أن يشارك فيها بما أوتي من قوة"[4].

كان للفكر الاسلامي الصحيح المنهج الاساسي لنضال الثعالبي، فكان ثائرا على طول الحياة بعد كبوة المسلمين، وعمل على تحبيب ارائه للشباب المسلم الناشئ، وزينها في وجوههم ببراعة فلسفية ففتح بذلك النفوس والضمائر ومهد الطريق أمامهم للثورة في وجه الاستعمار وكان سلاحه الأحاديث والخطب والكتابات الصحفية التي ألهب بها نفوس الشباب المتحمسين ودفعهم للنهوض بالاعباء الثقال والامور العظام لانقاذ امتهم ودينهم.

---

1 - عبد العزيز الثعالبي، **سقوط الدولة الأموية**...، المصدر السابق، ص ص20-21.

2 - أحمد خالد، **الزعيم عبد العزيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي**، الدار العربية للكتاب، تونس، 2001، ض95.

3 - نقلا عن يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص119.

4 - نفسه، ص120.

فحذى الشباب حذو الثعالبي وأنكروا حياة الركود والتخلف وعملوا على جمع الناس من حولهم وطبعوهم بطابع النهضة العلمية والفكرية[1].

ومن المناهج الاساسية عند فكر الثعالبي النضالي تحقيق الوحدة الوطنية التي ترتكز على القيم والمبادئ الاسلامية، فالوطنية التونسية أساسها الدين واللغة والتاريخ، فقد ناضل الثعالبي من اجل الوحدة الوطنية، فنجده يدحض دعوات الاستعمار الفرنسي على أن أصل سكان المغرب غربي، وأكد على عروبة التونسيين والمغاربة وبين ان مجيئ الاسلام إلى شمال إفريقيا قلب نظام الحكم وجعله نظاما عربيا اسلاميا ووحد ادارة البلاد تحت راية واحدة[2].

ومن أجل خدمة الوطنية التونسية دعى إلى ترشيد العمل الوطني والتحرر من نفوذ الاستعمار الفرنسي، وحمل شعار الاسلام والعروبة كلواء للوطنية التونسية فيقول الثعالبي: "إذا أردنا أن نكون كما يجب فلنقف وقفة الجندي الباسل لانقاذ الميراث العيم في سبيل تحرير البلاد، فانتبهو إلى ما يجب عليكم لانفسكم ولبلادكم لتكونوا قدوة في الحياة ترفعون شعار الاسلام والعروبة، يوم إذ يتغير التاريخ وتصيرون أحرار جديرين بالانتساب لهاؤلاء الاسلاف الذين دونوا أجَلَ المفاخر في تاريخ هذا العالم"[3].

بعد هذا النشاط الذي قام به الثعالبي في تونس تكون له جو سياسي وكسب الرأي العام التونسي وحتى من بعض رجال الفكر الفرنسيين والاحرار الانسانيين، واستطاع أن يجمع بين أطياف الحركة الوطنية في مناسبات كثيرة.

3- دور ونشاط الثعالبي وإسهاماته في تحرير تونس :

ساد الإعتقاد لدى النخبة في تونس أن المواجهة المباشرة مع الإستعمار آتية لا ريب فيها ولكن خوضها في هذه الأوضاع عملية ميؤوس من نجاحها ولذلك عقدت العزم على إنجاز عمل في العمق يحرك السواكن ويبعث الوعي لدى العامة والخاصة، وإرتكز عملها على ثلاثة عناصر هي الصحافة، التعليم، والعمل الجمعوي[4].

---

1 - يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص121.

2 - أنور الجندي، المرجع السابق، ص47.

3 - نقلا أنور الجندي، المرجع السابق، ص201.

4 - مجموعة من المؤلفين، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية**...، المرجع السابق، ص23.

كان لحادثة وقعت للثعالبي وهو صغير أثر كبير في حياته، فيذكر الثعالبي "كنت صغيرا ورأيت أمي تبكي فسألتها السبب فقالت: أما رأيت الفرنج مروا من هنا؟، وهؤلاء لا يخرجون إلا بالحرب" [1]، فأقسم وهو طفلا على أن ينتصر لوطنه، وهذا اليمين عهد على تحقيقه فسخر حياته للجهاد من أجل تحرير الوطن من الغزاة بكل الأساليب والوسائل السلمية ، وفي جميع المجالات الثقافية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية.

وبإعتبار أن تونس أكثر بلدان المغرب العربي تأثرا بتيارات الفكر الإصلاحي التي إنتشرت في المشرق العربي أواخر القرن العشرين، كان لهذه النهضة صدى كبير في تونس، فأثرت بشكل كبير على زعماء الحركة الوطنية التونسية، على رأسهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي بعد عودته من رحلته في المشرق شهر سبتمبر 1902، بدأ ينشر أفكاره ونهجه الإصلاحي الذي تشبع بها فيقول عن الشيخ محمد الفاضل عاشور بعد عودته من القاهرة "كان غريب الشكل والنزعة والمنطق والقلم يتكلم بأفكار الأفغاني وعبدو ويعجب بعبد الرحمان الكواكبي وحسن حسني الطويراني ويدعوا إلى التطور والحرية وفهم أسرار الدين وأسرار الوجو د ويعجب بمقالات الحكماء والطبيعيين" [2]، ذلك هوالشيخ بعد عودته من مصر، لم يكد يرجع من مصر حتى أحاطت به هالة من أهل العلم والأدب[3].

بدأ الناس يتأثرون به وبدأ ينتقد المحافظين من شيوخ الزيتونة، مثل ما كتبه في مقال نشرته مجلة "المنار المصرية" تحت عنوان "من صديق إلى صديق" في 14 أفريل 1903 يشكو فيها جهل العلماء وتكبرهم وجشعهم وولعهم بالكرامات والقبور[4]، هذا ما اثار حفيظة تيار الشيوخ الناقمين عليه على الإصلاح بثورة ضده ونصبوا له العداء وإتهموه بالخروج عن الدين الإسلامي، ووقعت الحماية الفرنسية تحت تأثير أعداء الثعالبي، وإتهموه بالتطرف هذا ما أدى إلى إدخاله السجن من 02 جويلية 1904 إلى 02 سبتمبر 1904[5]، وبعد إطلاق سراحه لم يتوقف عن إنتقاد المحافظين من شيوخ الزيتونة، ودعم للإتجاهات الإصلاحية، فقد ألقى محاضرة بالخلدونية عنوانها " التعليم وطرق التعليم"

1 – نقلا عن عبد العزيز الثعالبي، **تونس الشهيدة**، المصدر السابق، ص5.

2 – نقلا عن إبن عشور محمد الفاضل، **الحركة الوطنية الأدبية الفكرية في تونس**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص74.

3 – نفسه، ص74.

4 – الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص35.

5 – يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص133.

أيد فيها بشدة الإتجاهات الإصلاحية في تونس [1]، فكان الفكر الإصلاحي في نظر عبد العزيز الثعالبي الطريق الصحيح والمؤدي إلى نجاح الحركة الوطنية التونسية على أساس قاعدة قوية ومتينة وثابتة تؤدي إلى توعية الشباب التونسي وتوجيهه فكريا وسياسيا لمقاومة الوجود الإستعماري ومشاريعه[2].

فبدأ يظهر نشاط عبد العزيز الثعالبي النضالي في سبيل تحرير وطنه تونس أولا، والأمة العربية والإسلامية ثانيا، ويتجلى نضاله في تحرير وطنه من خلال دوره الفعال في بلورة الحركة الوطنية التونسية وهذا من خلال نشاطه التالي:

أ- نشاط عبد العزيز الثعالبي في حركة الشباب التونسي :

نظم المثقفون الإصلاحيون العصريون صفوفهم مطلع القرن العشرين حيث أصدر المحامي علي باشا حانبه في 07 فيفري 1907 جريدة أسبوعية ناطقة باللغة الفرنسية هي "التونسي" للدفاع عن مصالح الشعب التونسي وكانت لهجتها معتدلة للغاية التي جمعت حركة الشبان التونسيين، ثم ك ونوا نواة أساسية لحزب حقيقي هوالحزب "التطويري" ووضعوا له برنامج سياسي مستوحى من برنامج "تركيا الفتاة" يهدف عن طريق الحوار تحقيق أهداف الشعب التونسي[3].

إنضم إليهم عبد العزيز الثعالبي وأشرف على تحرير النشرة العربية التابعة لجريدة التونسي سنة 1909، أشهر فيها حملة عنيفة على مظالم الإدارة وطالب بإصلاح أوضاع التونسيين[4]، وإنضم الثعالبي لحركة الشباب التونسي السياسية لأنه يولي السياسة إهتمام كبير كونها الوسيلة المثلى لإخراج العرب والمسلمين من تخلفهم ليسايروا العصر والتطور[5] وكان من أهم أهداف العمل السياسي عند الثعالبي الثعالبي تحقيق الوحدة الوطنية التي ترتكز على المبادىء والقيم الإسلامية، هذا ما ساهم في بناء تقارب بين طلبة الزيتونة وقادة حركة الشباب التونسي بعد فترة جفاء [6]، و سرعان ما تلاشى هذا التلاقي

---

1 - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص35.

2 - يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص137.

3 - Ahmed kassab, **Histoire de la Tunisie contemporaine** .(1ereEd, Tunis: imprimerie Société Tunisiennede diffusion, 1976) , p375

4 - أحمد طرفاوي، المرجع السابق، ص107.

5 - عبد العزيز الثعالبي، **محاضرات التفكير الإسلامي والفلسفة**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1999، ص154.

6 - مجموعة مؤلفين، **تونس عبر التاريخ**...، المرجع السابق، ص76.

الذي كان لخدمة تونس، فظهر في الحركة تياران، تيار وطني متفرنس متشبع بالثقافة العربية يتطلع نحو الحرية مع الإرتباط بالغرب عامة وفرنسا خاصة، وتيار وطني عربي إسلامي قومي يتطلع نحو الحرية مع الإنفصال التام عن الغرب، وبقي التياران متصادمين وكان من زعماء التيار الثاني الشيخ عبد العزيز الثعالبي[1].

جاءت فرصة الغزو الإيطالي على طرابلس الغرب سنة 1911 فرصة "لحركة الشباب" و لجريدة "التونسي" للتعبير عن تضامن الشعب التونسي المطلق مع الشعب الليبي الشقيق المتعرض للغزو ، وتحول حقد التونسيين ضد الأوربيين أعداء الإسلام الألداء، وتزامن هذا الغزو مع أحداث الزلاج في 07 نوفمبر 1911 التي تحولت إلى إنتفاضة للتعبير عن رفضهم لسياسة الإستعمار [2]، إنتهت بسقوط عدد كبير من التونسيين إلى جانب ثمانية من الجانب الإيطالي والفرنسي، كانت لهذه الحوادث آثار ومخلفات على الشعب التونسي التي زادت في نضاله ضد المستعمر وكان من نتائجها مقاطعة الشعب "للترموای" إبتداءا من 17 فيفري 1912[3].

إتهم زعماء الحركة التونسية بأحداث الزلاج والترامواي، فتم نفي علي باشا حانبه وعبد العزيز الثعالبي في 13 مارس 1912[4]، وتم تعطيل ومنع جريدة "التونسي" من الصدور ما نتج عنه من تراجع لحركة الشباب التونسي ودخلت حالة الضعف والركود طيلة فترة الحرب العالمية الأولى[5].

ب- نشاط الثعالبي ونضاله غداة الحرب العالمية الأولى :

رفعت سلطة الحماية الفرنسية بتونس قرار النفي عن عبد العزيز الثعالبي سنة 1913 فعاد في السنة الموالية إلى تونس بعد رحلة قادته إلى العديد من المدن والدول الآسيوية، وبقي نشاطه السياسي يسير

---

1 - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص41.

2 - Ali Mahjoubi,**Les Origines du Mouvement National en Tunisie 1904-1934**. (1ere Ed,Tunis: La presse de la Société Tunisienne des arts graphique, 1982) , pp237-239.

3 - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص50.

4 - شارل أندري جوليان، **المعمرون الفرنسيون**...، المرجع السابق، ص132.

5 - علي محجوبي، المرجع السابق، ص152.

في الخفاء، فأسس أواخر سنة 1917 "جمعية سرية فدائية" بتونس غرضها تحرير المغرب العربي الكبير كله، تونس، المغرب، الجزائر وليبيا وكان للجمعية رموزها وفروعها في الجزائر وليبيا والمغرب وفي تونس

ترأس الثعالبي مع خمسة أعضاء فرعها، لكن سرعان ما إختفت هذه الجمعية السرية[1].

وبنهاية الحرب العالمية الأولى وإنتصار دول الحلفاء وإنهزام الدولة العلية التي كانت حركة "تونس الفتاة" تعلق عليها آمال كبيرة في تحقيق الإستقلال، أدى إلى تبخر هذه الآمال، وفي هذه الظروف ظهر في العالم تياران خطيران كلاهما يبشر ويدعوا إلى حقوق الشعوب في تقرير مصيرها، فالتيار الأول مثلته الثورة السوفياتية الشيوعية التي ظهرت في روسيا بعد نجاح الثورة البلشفية 1917، والتيار الثاني تمثل في دعوة الرئيس الأمريكي "و يلسن"* لمبادئه الأربعة عشر و منها حق الشعوب في تقرير مصيرها . ولغموض المبادىء الروسية لأنها تدعو إلى تضحيات كثيرة من العقائد الوطنية التي لا يؤمن بها الثعالبي وأصحابه[2]، وكذلك لإعتقاد الثعالبي بأن إنتصار دول الحلفاء في الحرب العالمية الأولى سي ؤدي إلى تحرير الشعوب المستعمرة ومنها الشعب التونسي، هذا ماجعل الثعالبي يتوجه إلى روما في أفريل 1919، لتقديم عريضة إلى الرئيس الأمريكي "ويلسن" يطالب فيه بتمكين الشعب التونسي من تقرير مصيره.

في 10 جويلية 1919 إنتقل إلى باريس موفدا من الحركة الوطنية التونسية بهدف دعم نشاط الوطنيين التونسيين في الخارج، للتعريف بالقضية التونسية وفضح السياسة الإستعمارية والمطالبة بالحرية والإستقلال للشعب التونسي [3]، قام الثعالبي بإستمالة بعض الأحزاب السياسية الفرنسية خاصة الحزب الشيوعي فوطد علاقاته مع بعض السياسيين الفرنسيين والشخصيات والمفكرين المعارضين لسياسة الحكومة اليمينية [4]، فيذكر الثعالبي عن هذا النشاط بقوله :"لم آت باريس طالبا الترف والرحلة، لكني جئتها موفدا من أمتنا المضطهدة التي كلفتني بمهمة صعبة وشاقة على كتفي الضعيفتين،

1 – صالح خرفي، **عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995، ص431.

2 – علال الفاسي، المصدر السابق، ص57.

* – ولسن توماس وودرو(1826–1924): الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية مابين(1913–1921)، له دور كبير في تأسيس عصبة الأمم، اشتهر بمبادئه الأربعة عشر في 1918/01/08.

3 – الحبيب ثامر، المرجع السابق، ص98.

4 – مجموعة مؤلفين، **موجز تاريخ الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص61.

هذه المهمة أن أضع على بساط البحث لقضية تونسية بعد أن بدأ الحديث عنها، وأخل أن كنت سوف أنجح أما إذا فشلت فأظل في هذا العالم وأهجر وطني لأني لم أستطع خدمته كما

أوردت وسوف أقتصر على العمل من أجل عائلتي التي ضحيت بها من أجل مصلحة وطني العلي "[1].

وبإنهزام اليسار الفرنسي في الإنتخابات التشريعية التي جرت في أكتوبر 1919، دفعت الثعالبي إلى تغيير الإستراتيجية المتبعة مقترحا على الوطنيين التونسيين ضرورة الدخول في معركة ضد الإستعمار تعتمد على أساس المطالبة بدستور يضمن حق التونسيين في تسيير شؤون بلادهم[2]، وكان من نتائج ذلك تكوين حزب جديد عرف بإسم "الحزب الدستوري التونسي" واصداره لكتاب "تونس الشهيدة" يفضح فيه سياسة الاستعمار الفرنسي في بلاده.

– إصدار الثعالبي لكتابه تونس الشهيدة :

إستطاع عبد العزيز الثعالبي من خلال رحلاته إلى أوربا والمشرق العربي وشرق آسيا أن يوسع في فكره، وإستطاع أن يفهم العقلية الأوربية وعلى ماذا تعتمد من حجة بالسند والرقم، فعرض أوضاع تونس في أرقام مستقاة من مصادر الإستعمار نفسه،إذ لا يستطيع هذا الأخير أن يرد عليها أو ينفيها[3]، فأصدر الثعالبي بالتعاون مع أحمد السق ا* في فرنسا كراسته الشهيرة تحت عنوان "تونس الشهيدة"، موضحا فيه أوضاع الإيالة التونسية قبل فرض الحماية وبعدها [4]، معتمدا على الأرقام في فضح الإدعاء بأن الحماية على تونس رسالة حضارية فرنسية، وكان هذا الكتاب بمثابة بيان سياسي

1 – الجغام حسن أحمد، **أمة إجتمعت في إنسان**، منتخبات نثرية وشعرية عن سيرة الشيخ عبد العزيز الثعالبي بأقلام أقطاب عربية، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1989، ص95.

2 – مجموعة مؤلفين، **موجز تاريخ الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص ص61-62.

3 – علي محجوبي، المرجع السابق، ص152.

* – أحمد السقا : ولد أحمد السقا في 1892/03/03، كان أبوه محمد قد تعدد ت مناصبه في الوظائف الإدارية منها قيادة قابس ، زاول/ دراسته العليا بباريس وأحرز على الدكتوراه في الحقوق، للمزيد أنظر، محمد ضيف الله ، **الحركة الطالبية التونسية**، ص 223.

4 - Jean Ganiage, **Histoire contemporaine du magrébe de 1830 à nos jours**, Artheme Fayerd, France, 1994, p426.

موجه للفرنسيين، ويمهد لبروز الحركة الوطنية التونسية، فحقق الكتاب نجاح منقطع النظير بعد أن أوصله الثعالبي إلى كل الدوائر الحكومية في فرنسا وأهم الشخصيات الفكرية والسياسية بها، كما

أوصله إلى تونس بطريقته الخاصة، فتناقلته وسائل الإعلام الفرنسية بشكل كبير وموسع، كما قدم الثعالبي في هذا الكتاب مجموعة من مطالب التونسيين في المج الات السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، إصدار هذا الكتاب جعل السلطات الفرنسية تقبض عل ى الثعالبي في 13 جويلية 1920 وتنقله إلى تونس وتحاكمه بتهمة التآمر على أمن الدولة[1].

ج- نضال الثعالبي في تحرير تونس من خلال الحزب الدستوري التونسي :

لقد أسهمت رحلات عبد العزيز الثعالبي خارج وطنه خاصة جولاته داخل أوربا في فهم واقع عصره والمشاكل التي تحيط به وتؤثر فيه وعلى نضاله من أجل تحرير وطنه من الحماية الفرنسية، كما تأثر عبد العزيز الثعالبي بمبادىء الثورة الفرنسية، فسلك سبيل جديد أكثر تنظيم في دفاعه عن تونس، فأسس هو ومجموعة من أنصاره "الحزب الدستوري التونسي" * يوم 14 مارس 1920، يطالب فيه بدستور لتونس يضمن حقوق المواطن التونسي والمساواة بين جميع فئات المجتمع، وتأليف حكومة وطنية مسؤولة أمام الشعب، هذا بإعتبار ان تونس أول بلد عربي أعلن دستورا.

وكانت أيديولوجية الإصلاح عند الثعالبي تقوم على مصدر التشريع الإسلامي الملائم للبلاد العربية و الإسلامية، وكان في نظره لزاما تطهير الدين الإسلامي من البدع والظلال والطرقية [2]، ودعا الشيخ إلى رفض التزمت، مؤكدا على ضرورة إستخدام العقل[3]، وإتهم الطرقية أنها ساهمت في تعطيل التقدم[4]، وإستغلها المستعمر في محاربة الدين والحركة الوطنية التي تستهدف تنوير المجتمع وربطه ا

---

1 - محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص82.

* - وقع اختيار اسم الحزب بالدستوري كون ان تونس عرفت قبل غيرها من الاقطار العربية إعلان دستور سنة 1865 يتضمن اصلاحات سياسية واقتصادية وعسكرية موسعة ويعطي نواب الشعب الحق في المشاركة الفعلية في الحكم و امتلاكه صلاحية خلع السلطان.

2 - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص55.

3 - عبد العزيز الثعالبي، **روح التحرر في القرآن**، تر، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985، ص41.

4 - نفسه، ص56.

* *- محمد الناصر : محمد الناصر باي بن محمود بن حسين بن علي باي :ولد في 14 جويلية 1855 حكم تونس في 11 ماي 1906 ، واستمر في الحكم 16 عاما وأدخل لأول مرة نواب تونسيين في مجلس الشورى ، عرفت تونس عدة أحداث في عهده منها حوادث الزلاج ، توفي في 16 جويلية 1922 . للمزيد أنظر، محمد بوذيبة ، المرجع السابق ، ص ص437-438.

بعنصر حضارتها الصحيحة، وأسس لذلك مجلة "الفجر" لكي يتسنى للحزب أن ينضم الشعب عن طريقها، كما عرف الحزب الدستوري التونسي مساندة من طرف الباي "محمد الناصر"** مساندة مطلقة وإنخرط إبنه الأكبر "محمد المنصف باي" بالحزب وأدى يمين الإخلاص له[1].

إعتبر الحزب الدستوري التونسي حزبا معارضا لسلطة الحماية والإستعمار الفرنسي بجميع أنواعه، وكان يهدف إلى إستقلال تونس واضعا لذلك برنامجين، الأول إصلاحي يمهد الطريق للإستقلال، والثاني آجل قوامه الإستقلال الكامل والمحافظة على الأسرة الحسنية الحاكمة كعامل وحدة للشعب التونسي[2].

هذا النشاط جعل فرنسا تشعر بتعاظم الحركة الوطنية فلجأت إلى المراوغة والتسويف وغيرت المقيم العام بمقيم جديد سنة 1921 هو "لوسيان سان" * الذي أعتبر داهية في المكر والخداع فشرع برفع الأحكام العرفية وأدخل العديد من الإصلاحات، وأطلق الحريات ... وفتح الباب أمام الإستيطان الأوربي خاصة الإسبان والإيطاليين.

هذا النشاط الذي قام به المقيم العام أحدث شرخا داخل الحزب الدستوري التونسي بعد أن رفضت كتلة من داخل الحزب مناورات المقيم العام، بينما جناح آخر أيد هذه الإصلاحات وقبلوا بها وأسسوا حزبا جديد في أفريل 1921 عرف فيما بعد بإسم "حزب الإصلاح" على رأسه المحامي حسن قلاتي، لم يعمر هذا الحزب طويلا لتعاونه مع الإستعمار ونبذه من طرف الشعب [3]. هاجم زعماء الحزب الدستوري خاصة الثعالبي عن طريق لسان حاله جريدة "البرهان" وبعدها جريدة "النهضة".

يضاف لهذا الإنشقاق خروج فرحات بن عياد ممثل الحزب الدستوري في باريس عن صفوف الحزب، ويكون حزب جديد هو "الحزب الدستوري المستقل"، لم يعمر طويلا كسابقه وسرعان ما إختفى[4].

---

1 – الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص55.

2 – يوسف مناصرية، **الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية**، (1934-1937)، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 2002، ص7.

* – لوسيان سان : مقيم عام بتونس خلف فلاندان سنة 1921، جاء لينفذ خطته التي تقضي بمواجهة الوضع التونسي، فقدم سلسلة إصلاحات وأجبر الباي على قبولها، قمع الحريات وعطل الصحف وأغلق النوادي. للمزيد أنظر محمد رحاي، المرجع السابق، ص55.

3 – الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص56.

4 – محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي**، ج14، المرجع السابق، ص134.

رأى عبد العزيز الثعالبي أنه من الواجب عليه كقائد سياسي عدم التخلي عن المجموعة المطالبة بالدستور فبارك حركتها وفي نفس الوقت حاول دائما توجيههم و إرشادهم نحو الهدف الأساسي

المتمثل في تحقيق الإستقلال واسترجاع السيادة التونسية[1].

يظهر الثعالبي أنه لم يكن راضيا على مسايرة التوجه العام للحزب إلا مضطرا حتى غادر البلاد إلى أرض العروبة التي تمكنه بالمجاهرة برأيه الكامل، ويذكر السيد محيي الدين القليبي أنه في وقت سابق من شبابه الأول دخل على الثعالبي ليطلعه على مقال كتبه في بعض الجرائد فسر به الشيخ وقال له : "يجب الإنخراط في الحزب الدستوري" فرد له السيد محيي الدين "إني مستعد للعمل معكم ولكنكم تطالبون بالإصلاح الدستوري وأنا أريد الإستقلال ولا يمكنني أن أقسم بيمين الحزب إلا إذا كانت غايته الإستقلال"، فتبسم الثعالبي وقال له : "ياولدي إن هذه خطة إرتضاها إخواننا تحايلا على السياسة، أما أنا فكنت أفضل السراحة التي قلت عنها، ومع ذلك فلا نقسم إلا على الإستقلال لأن تلك غايتنا جميعا"[2].

إختيار الثعالبي موقف الوسط بين المعتدلين الذين يطالبون بالإصلاح مع بقاء الحماية وما بين موقف المتطرفين المطالبين بالإستقلال، فكان موقفه واقعيا من الطرفين، وراسل النخبة التونسية يحثها على الصمود والوفاء لمبادئها.[3]

يمكن أن نستخلص من خلال هذه الآراء المختلفة أربع إتجاهات فبي الحزب الدستوري التونسي، الإتجاه الأول إتجاه ثوري يدعوا إلى الإستقلال الكامل ومعاداة الفرنسيين صراحة يمثله محمد باشا حانبه، والإتجاه الثاني ينادي بالمساواة بين الفرسيين والتونسيين وتحقيق حكم ذاتي لتونس في إطار الجمهورية الفرنسية، والإتجاه الثالث معتدل يسعى للنهوض بالتونسيين في إطار سلطة الحماية ويمثله فرحات بن عياد، علي كاهية والشادلي القصطلي، أما الإتجاه الرابع فهو واقعي مرن يمثله الثعالبي، وقد

1 – جلال يحي، المرجع السابق، ص1076.

2 – نقلا عن علال الفاسي، المصدر السابق، ص60.

3 – يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص75.

إستغل أصحاب هذا الإتجاه ظروف نهاية الحرب العالمية الأولى فطالبوا بالإستقلال ثم عدلوا عن هذه السياسة لعدم جدواها وسلكوا بدل ذلك منهج الإصلاح بالرغم من أن أصحابه لم يكونوا مؤمنين

الظروف السائدة وخيبة الأمل في مؤتمر فرساي جعلتهم أكثر واقعية.[1]

فشل عبد العزيز الثعالبي والحزب الدستوري التونسي في إقناع الرأي العام الفرنسي والحكومة الفرنسية بشرعية مطالبه وإعتدالها، وكذلك الفشل في إستمالة القصر خاصة بعد وفاة "محمد الناصر باي" وتقلد "الحبيب باي"* السلطة و الذي صادق على مشروع إصلاحات في تونس قدمتها فرنسا في جويلية 1922، دخل الثعالبي في خلاف مع الباي بسبب هذه الاصلاحات، فإنعكست سلبا على الحزب وبدأ يعرف تراجع كبير في دوره ونشاطه، وتراجعت موارده المالية خاصة بعد صدور الأمر المؤرخ في 08 ماي 1922 الخاص بعمليات الإكتتاب التي كان يقوم بها الحزب لتغطية بعض مصاريف أنشطته ، وخروج العديد من القيادات من صفوفه فقرر عبد العزيز الثعالبي وتحت ضغوط المقيم العام مغادرة تونس يوم 26 جويلية 1923 بإتجاه المشرق[2]، بقي متنقلا بين مصر وبغداد وفلسطين والأستانة ... ولم يتوقف في نشاطه ونضاله من أجل تحرير وطنه، فعمل على ربط الحركة الوطنية التونسية بالحركات الوطنية في مصر والمشرق العربي.

هذه التطورات ا ضعفت الحزب الدستوري التونسي[3] فترة طويلة من الزمن ، تولى قيادته في تونس "أحمد الصافي" والزعيم "محيي الدين القليبي"، وقد أثار هذا الجمود الذي أصاب الحزب حفيظة بعض الشباب التونسي العائد من فرنسا ، الذين أسسوا جريدة "صوت تونس" سنة 1928 تحت ادارة

---

1 – يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص ص78-79.

* – الحبيب باي (1858-1928): هو محمد بن محمد (المأمون) من الاسرة الحسينية التي حكمت تونس تعلم القرآن والفقه والادب في تونس، تولى حكم تونس بعد وفاة أخوه محمد الناصر سنة 1922، كان منزله مأمن لزعماء الحزب الدستوري،قبل ان يصبح باي. للمزيد انظر ،محمود شاكر، **التاريخ الاسلامي**، المرجع السابق، ص137.

2 – مجموعة مؤلفين، **موجز تاريخ الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص ص68-69.

3 – عز الدين معزة، **فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899–2000**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسنطينة، 2010، ص176.

الشاذلي خير الله، إلتف حولها نخبة من شباب الحزب الدستوري والبعض من خارجه، إستطاعت الجريدة أن تخلق تيار واسع أدى إلى تنشيط الحزب وإعادة الحياة إلى صفوفه، لم تمضي مدة على هذه الجريدة حتى إنشق منها بعض الشباب وأسسوا جريدة "العمل التونسي"، كان من زعماء هذا التيار محمود الماطري و بحري قيقة وبشير صفر و الحبيب بورقيبة هذا الأخير كان أكثر جرأة ووضوحا.
وفي سنة 1929 قرر غلاة الإستعمار الفرنسي إقامة مؤتمر عام من طرف رجال الدين المسيحيين

وسمي "مؤتمر الأفخار ستي"* وهذا بسبب مرور نصف قرن من إحتلال تونس، ما جعل الحزب الدستوري يتحرك ويشن حملة شعواء على هذا المؤتمر، يقول عن ذلك الحبيب بورقيبة "... كانت نكبة على البلاد فقد غصت شوارع تونس بالرهبان من جميع أطراف الدنيا حتى أصبح المرء لا يستطيع الخروج من مسكنه وكان من الرهبان شبان يرتدون ملابس شبيهة بما كان يرتديه أفراد الحملة الصليبية الثامنة... ورافعين أعلام بيضاء مكتوب عليها "الصليبية التاسعة" أي أننا دخلنا تونس التي لم يستطع لويس التاسع أن يقتحمها في عهد المنتصر بالله عام 1270..."[1]، الذي كانت غايته إستعمارية فأراد الإستعماريون ورجال الدين المسيحيين بمؤتمرهم هذا أن يقنعوا الشعب العربي في تونس بأن الإحتلال الفرنسي هو طبيعي، بل عودة الأمور إلى طبيعتها التاريخية، فمجيء الفرنسيين لتونس بغرض تحريرهم من الوجود العربي والاسلامي الذين أتوا غزات لأرض تونس الرومانية.[2]

د- عودة الثعالبي من منفاه سنة 1937 وأثرها على الحركة الوطنية التونسية :

تأتي عودة الثعالبي لتونس بعد غيابه أربعة عشر سنة عن وطنه تونس ، وبعد مرور أكثر من عام لحكم الجبهة الشعبية بفرنسا، وفي ظروف داخلية صعبة داخل الحركة الوطنية التونسية وهذا ب وجود كتلتين متعارضتين ومختلفتين في الحزب الدستوري التونسي وظهور زعماء جدد مخالفة لتوجهات ومبادئ الثعالبي امثال الحبيب بورقيبة ، الذي تحول الى زعيم كبير مطالب بإرجاع تونس لهويتها مع بقاء التعاون مع فرنسا حيث صرح بورقيبة بما يلي : "...بأن الوحدة التي لا تنفصم بين تونس وفرنسا تمثل القاعدة الأساسية لمطالب الحزب الدسقوي الجديد"[3].

---

1 – نقلا عن الحبيب بورقيبة، **حياتي آرائي جهادي**، نشريات كتابة الدولة للإعلام، تونس، 1978، ص168.

2 – الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص ص56-57.

* – مؤتمر الأفخار ستي : تظاهرة دينية مسيحية نظمتها الكنيسة في شهر ماي1930 في قرطاج بتونس، وحضرها رجال الدين المسيحيين من دول عديدة، وهذا كان بمساعدة سلطة الحماية وكان متزامنا مع الذكرى المائوية لإحتلال الجزائر، وإصدار الظهير البربري في المغرب الأقصى، إعتبرها التونسيون تحديا لمشاعرهم الإسلامية.

3 – نقلا عن الحبيب بورقيبة، المصدر السابق، ص100.

وبعودة الثعالبي إلى تونس يوم 08 جويلية 1937 في ظل تبدل الأوضاع السياسية في فرنسا والإجراءات الإجتماعية التي تم إتخاذها وسياسة الحوار التي إنتهجها الحزب الدستوري الجديد، وما آلت إليه الأوضاع من تدهور في هذه السنة، ولم تكن عودة الثعالبي فقط في إطار الإستجابة لنداءات القوى الوطنية، وإنما تأتي كذلك في وقت حقق فيها الحزب الدستوري الجديد توسعا جماهيريا كاسحا، وأصبح يمثل القوة الأولى والرئيسية في الحركة الوطنية التونسية. وستكون عودة الثعالبي بالنسبة للإستعمار محاولة أخرى لإشعال فتيل الصراع بين الإخوة الأعداء[1].

حاول الثعالبي بعد عودته إلى تونس توحيد صفوف قيادات الحزب ، إلا أن مساعيه إنتهت بالفشل خاصة إذا عرفنا إنحياز الثعالبي إلى أعضاء اللجنة التنفيذية، إنتهى الصراع في النهاية لصالح الحزب الدستوري الجديد، الذي حال دون عقد الثعالبي لإجتماعاته داخل البلاد، وبلغ الأمر إلى حد الوقوع في صدامات عنيفة أسفرت عن سقوط ضحايا[2]، وأمام أعمال العنف هذه تراجع عبد العزيز الثعالبي عن تنظيم إجتماعات عامة، ودخل هو وانصاره مرحلة التقهقر فاسحا المجال مرغما لجناح الحزب الدستوري الجديد[3].

– موقف سلطات الحماية من نشاط عبد العزيز الثعالبي :

ظهر عبد العزيز الثعالبي بمظهر الزعيم الرافض لسياسة الإستعمار وما حل من تدهور للأوضاع في تونس في جميع المجالات، فبدأت سلطة الإحتلال تتأثر بأعداء الثعالبي وأعتبرت آراءه ضربا من الجرأة والتطرف، ونصبت له فخا وقع فيه بين مخالب الإستعماريين وأنياب الطرقيين الذين شن عليهم هجوما لاذعا[4]، هذا ما جعل فرنسا تعتقله بتهمة إنتقاد القرآن الكريم وتفسيره غير اللائق للإسلام، وإهانة رجال الدين الإسلامي، سجن لمدة شهرين من 02 جويلية إلى 02 سبتمبر 1904.[5]

---

1 – مجموعة مؤلفين، **موجز تاريخ الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص ص97-98.

2 – مجموعة مؤلفين، **تونس عبر التاريخ**...، المرجع السابق، ص109.

3 – عز الدين معزة، المرجع السابق، ص185.

4 – يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص131.

5 – نفسه، ص133.

كما عملت السلطات الإستعمارية على عرقلة نشاط عبد العزيز الثعالبي بعدة طرق ووسائل فإما عن طريق توقيف نشاطه الصحفي وتارة نفيه وتارة أخرى منعه من الدخول إلى أرض الوطن ومرات يتم سجنه بتهم ملفقة، فيذكر الثعالبي "... تم القبض علي عام 1906 ووضعوني في السجن لا بصفة

كوني متهما، بل بإسم حمايتي من الجمهور الغاضب الذي يريد أن يفتك بي..."[1].

ظلت السلطات الفرنسية تترقب خطوات الثعالبي بدقة وحذر، ولذلك أقدمت على إلقاء القبض عليه مرة أخرى عام 1912، وأصدرت الحكومة يوم 13 مارس 1912 قرار بنفيه من تونس، بعد أحداث الترامواي رفقة بعض معاونيه، أمثال علي باشا حانبه كما سبق ذكره، بتهمة تحريض الأهالي ضد المصالح الفرنسية ومقاطعة الأهالي ركوب الترامواي.

فيكتب الثعالبي عن ذلك بقولها"... لما قبضت علي السلطة الفرنسية عام 1912 بعد ست سنوات وقد طرقت منزلي في الساعة الرابعة بعد منتصف الليل أي الفجر، ودخول المنازل في هذه الساعة ممنوع، وأخرجتني إلى الخارج ومن دون أن يعرف ذلك أحد ، شاع ذلك الخبر في الغد وأضربت البلاد كلها ثلاثة أيام، ووقفت جميع الأعمال وأصر الشعب على إستدعائي فجاء الفرنسيون يلحون علي بالرجوع، فأبيت ما لم يعد وضع البلاد السياسي فقال إنه لا سبيل إلى ذلك لأن الحرب العالمية على الأبواب"[2].

وبإصدار عبد العزيز الثعالبي لكتابه المشهور "تونس الشهيدة" ألقي القبض عليه يوم 22 جويلية 1920 بباريس بتهمة التآمر على أمن الدولة، وكان الإعتقال بأمر من رئيس المجلس العسكري بتونس، نقل إلى تونس[3]، أطلق سراحه بعد تسعة أشهر في ماي 1921، إلا أنه ظل تحت المضايقة والتحقيقات الأمنية فإضطر إلى الهجرة إلى المشرق في 1923[4] ،خاصة ما مارسه عليه "الباي محمد الحبيب" بعد توليه العرش والذي إنقلب على الثعالبي، وصادق على إصلاحات جويلية 1922، مما

---

1 – نقلا عن محمد بوطيبي،المرجع السابق، ص98.

2 – نفسه، ص99.

3 – أحمد القصاب، المرجع السابق، ص509.

4 – محمد بوذينة، **عبد العزيز الثعالبي، سلسلة مشاهير 120**، الشركة التونسية للنشر وتنمية الرسم، تونس، 1996، ص19.

أدى إلى حدوث خلافات حادة بينهما، فإضطر الدستوريون على أمر أن يسافر الثعالبي خوفا من إنتقام الباي بسبب هذا الخلاف[1].

إستمر غياب الثعالبي أربعة عشر سنة، وبعودته في جويلية 1937 وجد الحزب الدستوري منقسم إلى قسمين، والسيطرة فيه كانت لصالح الشباب ، الذين أسسوا الحزب الدستوري الجديد حاول لم الشمل لكنه لم يستطع في ذلك، لهذا فضل الثعالبي الانسحاب وا عتزال السياسة والتفرغ للكتابة والتأليف، رغم ذلك إستمرت أفكاره التحررية للجيل الذي بعده الذي سوف يناضل من أجل تحقيق الإستقلال والتحرر من سيطرة الإحتلال على تونس.

من خلال ما تناولناه في الفصل الثاني نستنتج أن الشعب التونسي منذ أن فرضت عليه فرنسا الحماية سنة 1881 كان رافضا لها، وعبر عن ذلك بمقاومة لم ينتظر من يأمره بها، لكن سوء التخطيط وغلبة كفة السلاح لصالح الإستعمار عجلت في القضاء عليها، مما جعل التونسيين يغيرون في أساليب وطرق كفاحهم ضد الإستعمار، فتحولوا إلى الطرق السياسية، عن طريق الحركة الوطنية التي ظهر فيها زعماء لا يمكن أن نتكلم على الحركة الوطنية بدون ذكرهم وكان على رأسهم عبد العزيز الثعالبي، والذي يتضح من خلال تتبعنا لحياته وفكره في تحرير تونس أنه إستطاع إلى حد كبير أن يعد الجيل الذي سوف يقود تحرير تونس.

واستنتجنا أن فكر الثعالبي ونضاله التحرري أقلق الإستعمار الفرنسي، فحاربه بالسجن والنفي والإبعاد والتشويه.

1 – علال الفاسي، الحركات الاستقلالية...المصدر السابق، ص68.

الفصل الثالث

الفكر التحرري في المغرب الأقصى من خلال شخصية علال الفاسي

(1937-1881)

1. الفكر التحرري في المغرب الأقصى

2. علال الفاسي وإسهاماته في تحرير المغرب الأقصى

لطالما مثلت فكرة انشاء مناطق نفوذ وتوسيع الامبراطوريات الاستعمارية احد اهم الاهداف الاستراتيجية الثابتة في السياسة الاستعمارية، لهذا شكل المغرب الاقصى أحد المناطق الأقليمية الاكثر حساسية في المنظور الإستراتيجي الفرنسي و الاسباني، وتكمن أهمية المغرب الاقصى بالنسبة لهما بقربها الجغرافي وامتداد لمجالهما الاستعماري خاصة لفرنسا، التي ترى في احتلال المغرب الاقصى ضمان ودعم كبير لوجودها في الجزائر وتونس.

المبحث الأول : الفكر التحـرري في المغرب الأقصى :

1- فرض الحماية وردة فعل الشعب :

بعد إحتلال الجزائر من طرف فرنسا وبسط نفوذها الإستعماري فيها وجعلها جزء من أراضيها، إتخذتها نقطة إنطلاق للتوسع شرقا وغربا، ففرضت الحماية على تونس سنة 1881، وجاء الدور على المغرب الأقصى[1] رغم الخصوصيات التي عرفت في المغرب والتنافس الأوربي الشديد عليه ، الذي أفضى إلى فرض الحماية الفرنسية على المغرب الاقصى بموجب المعاهدة المبرمة مع السلطان عبد الحفيظ في 30 مارس 1912، بعدها اتجهت فرنسا لتسوية خلافها مع اسبانيا ، فوقعت معها اتفاقية في 27نوفمبر 1912[2]، يحدد من خلالها مناطق نفوذ كل دولة .

ووفقا لما أسفرت عنه المعاهدات الأوربية، لما أقرت فرنسا حمايتها على المغرب فإنها لم تنفرد به لوحدها بل شاركتها إسبانيا في الشمال وطنجة خاضعة لنظام إداري دولي وعلى هذا الإشتراك في الإحتلال ، فإن الحماية الفرنسية كانت مقيدة بالإلتزامات الدولية لضمان إستمرارية الإمتيازات الإقتصادية للدول الاوربية، وهذه القيود تختلف عما عرفته تونس التي لم تخضع إلا للحماية الفرنسية وحدها.

لم يتقبل الشعب المغربي الهيمنة الاستعمارية المزدوجة التي فرضت عليه، ولم يقف مكتوف الايدي ، وكانت ردود الفعل الأولى لهـ معارضة للأمر الواقع ، فتوجهت للقصر السلطاني في بدايتها أكثر مما توجهت للإستعمار وهذا التوجه كان بسبب الصدمة التي لم يتقبلها المغاربة من تصرف

1 – أحمد عبيد، المرجع السابق، ص25.

2 – مفيد الزيدي، **التاريخ العربي بين الحداثة والمعاصرة**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص251.

" السلطان عبد الحفيظ" [*]، بعد توقيعه على معاهدة الحماية فشاع من أن السلطان باع البلاد لهذا كانت الصدمة قوية ومواقف السخط سوف تأتي حتى من الجيش السلطاني نفسه[1].

وبتوقيع معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب الأقصى كانت نكبة أليمة وفاجعة كبرى لم يتحملها المغاربة، رغم ضعفهم برزت حركات مقاومة في الجبال والسهول وكانت ثورة مدينة فاس من أعضم ثورات المدن بالإظافة إلى ثورات الجبال والتي برهنت على أن المغاربة لم يرضوا الخضوع والخنوع للأجنبي مهما كانت الظروف[2].

أدرك المقيم العام الفرنسي "ليوطي" أن القتال في المناطق المبنية، أي داخل مدينة فاس، سيكون بلا شك في صالح الوطنيين ، الذين هم أعلم بالمسالك و الدروب المبنية ، لذلك عمل على إسترضاء الأهالي والتقرب من علماء القرويين.

وعلى الجانب الآخر تقدمت أيضا إسبانيا بقواتها لإحتلال منطقة حمايتها بشمال المغرب ، وكانت الخطة أن تتقدم القوات الإسبانية في منطقة الجبالة لإحتلال مدينة تطوان التي إتفق على أن تكون عاصمة لمنطقة الحمايتها، ولكن ظهر في الجبالة زعيم مغربي هو أحمد الر يسولي [**] الذي حمل لواء المقاومة من سنة 1911 إلى ظهور الأمير عبد الكريم الخطابي في 1921، وقد وقعت حكومة الحماية الإسبانية مع الرسولي هدنة سنة 1915 وأقرته حاكما على إقليم الجبالة، وكان هذا الأخير من الذين إتصلو بالألمان أثناء الحرب العالمية الأولى ، وتلقى المعونة منهم، لذا تحرج موقفه بعد انهزام المانيا في هذه الحرب[3].

ويلاحظ أن إنتشار حركات المقاومة في مختلف الجهات تحت شعار الجهاد، فقامت قبائل صحراوية

---

1 – أحمد عبيد، المرجع السابق، ص ص227-228.

* – السلطان عبد الحفيظ (1876-1937): ولد بفاس، حكم ما بين(1908-1912)، وقع معاهدة الحماية بمدينة فاس مع الدولة الفرنسية التي وعدته بحماية والمحافظة على السلطان شخصه وعرشه وأمل رعيته في جميع أنحاء المملكة، تنازل عن السلطة لأخيه يوسف لإدراكه أن الإستعمار لن يفعل به خيرا. للمزيد أنظر،محمود شاكر، المرجع السابق، ص353.

2 – أبو بكر القادري، **مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية 1930–1940**، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1993، ص33.

3 – صلاح العقاد، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر،تونس،المغرب الأقصى)**، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1993، ص282.

**– أحمد الريسولي : هو أحمد بن محمد بن عبدالله الريسولي، وهو ثائر أيام السلطان حسن الأول، لم تتمكن الحكومة من السيطرة عليه، وعندما إضطرب أمر الدولة عاد إلى الثورة ضد الإسبان، وأصبح سيد المنطقة الغربية للريف، إنتهت مقاومته سنة 1921. للمزيد أنظر، محمد حجي، ج8، المرجع السابق، ص220.

وسوسية بمبايعة الشيخ أحمد الهيبة، نجل المرابط الصحراوي الشيخ ماء العينين لكي يقودها نحو شمال البلاد، لكن سرعان ما تشتت حركة الهيبة عندما إصطدمت بالجيش الفرنسي في سبتمبر 1912 مما أدت به إلى التراجع وبقي يقاوم في منطقة الأطلس الصغير إلى أن وافتهالمنية سنة 1919، ليحمل لواء الجهاد بعده أخوه[1] لكنها فشلت في صد الاستعمار.

– مقاومة محمد عبد الكريم الخطابي :

أمام تقدم الإسبان في إحتلال المناطق الشمالية من المغرب الأقصى ، إصطدمت بمقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي بعد أن بدأ أبوه عبد الكريم يتحرك لتنظيم الثورة لصد التوسعات الإسبانية فبدأت العائلة في التعبئة الدينية والسياسية بين الأهالي وتوضيح حقيقة الأطماع الإستعمارية وحثهم على ضرورة الجهاد ورافق ذلك الفعل التعبوي إستعداد عسكري.

وبوفاة عبد الكريم الخطابي تولى إبنه الأكبر محمد * زعامة قبيلة "وريغل" للجهاد ضد الإسبان وبقيادته عرفت منطقة الريف مرحلة جديدة في المواجهة الجدية والموحدة والتي تجاوزت الإطار القبلي والمحلي[2]، وأصبحت أوسع تشمل الشمال المغربي لتمتد على كل المغرب الأقصى[3].

كان أول إنتصار كبير تحققه مقاومة الخطابي ضد الإستعمار في معركة "أنوال" في 21 جويلية 1921[4]، تكبد الإسبان فيها خسائر كبيرة في العتاد والعدة ، وبفضل الغنيمة الحربية و الدية التي دفعتها إسبانيا للإفراج عن الأسرى تمكن بها الخطابي من مواصلة مقاومته في تحرير المناطق المحتلة فحرر في جويلية 1922 الناظور، إعتقد الخطابي ان الإسبان بعد معركة أنوال سوف يقبلوا بشروط الصلح وكان يفضل أن يعترفوا بإستقلال الريف، وكان يرى أنه في حاجة لتنظيم جيشه على أسس جديدة قبل أن يتقدم بخطوة أخرى، هذا ما جعل الريفيون لا يستغلون النصر في تحقيق مكاسب اكبر.

---

1 – محمد القبلي، المرجع السابق، ص533.

* – محمد بن عبد الكريم الخطابي: ولد بالريفم من قبيلة وريغل، حفظ القرآن منذ صغره وإنتقل للدراسة في القرويين، تزعم الجهاد في منطقة الريف، حقق إنتصارات كبيرة على الإسبان، إلا أن مقاومته فشلت بعد أن تدخلت فرنسا إلى جانب الإسبان ليتم نفيه خارج المغرب 1926. للمزيد أنظر، أحمد البوعياشي، **حرب الريف التحريرية ومراحل النضال**، ج1، مطبعة دار أمل، المغرب، 1974، ص ص15–16.

2 – علال الفاسي، **الحماية على مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية**، مطبعة الرسالة، مصر، 1948، ص27.

3 – محمد علي داهش، **محمد عبد الكريم الخطابي**...، المرجع السابق، ص ص99–100.

4 – محمد شرقاوي جواد، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع7، مطبعة الرسالة، المغرب، 1984، ص18.

أعلن الريفيون تأسيس حكومة وطنية سنة 1921 تدير منطقة الريف ، من حدود خط مراكش إلى المتوسط، تسعى لتحقيق الإستقلال والإعتراف بدولة الريف[1].

أدى إنتصارات المقاومة الريفية المتتالية ونجاحهم في خلق دولة ريفية مستقلة على حدود مناطق الحماية الفرنسية في المغرب الأقصى إلى قلق فرنسا ، ماجعلها تدخل في حرب ضدهم إلى جانب الإسبان، ففي البداية تعرضوا لهزائم كبيرة ، لكن التحالف الذي وقع بين الإسبان وفرنسا ضد الثورة الريفية، إضافة إلى إستمالتهم لبعض القبائل المغربية إلى جانبها، مكن الدولتان بعد حربا ضروس ضد الريفيين مستعملين أسلحة فتاكة وطيران حربي من العجل بهزائم الريفيون[2]، في ماي 1926 وسلم الأمير الخطابي نفسه للفرنسيين، تم نفيه إلى جزيرة "ريونيون" وظل بمنفاه حتى 1947 حيث تقرر السماح له بالإقامة في فرنسا وعند وصول الباخرة التي تقله إلى بورسعيد بمصر لجأ إلى السلطات المصرية التي منحته اللجوء السياسي[3].

لقد تركت مقاومة الخطابي أثر عميق في أوساط الحركة الوطنية المغربية الذين رأوا فيه رمز المغرب الحر والوطنية الراسخة فلم يقصد في مقا ومته للاستعمار المساس بحكم السلطان ، بقدر ما أراد طرد الاستعمار وتحقيق الإستقلال،وبفشل هذه المقاومة بدأت الحركة الوطنية تظهر متخذة أساليب نضالية جديدة وهذا بإنتهاجها العمل السياسي لتحقيق الإستقلال.

2- جذور الفكر التحرري بالمغرب الأقصى :

يمكن القول أن الحركة السلفية المغربية كان لها تأثير كبير في الحركة الوطنية المغربية، وقد ساهمت الدروس التي كان يلقيها رواد هذا التيار بالمغرب الأقصى أمثال أبو شعيب الدكالي* و محمد بن العربي العلوي الذين كان لهم دور في الرد على الأطروحات التي ربطت الإسلام بوضعية التخلف من جهة، كما إستطاعوا إمتصاص الصدمة الناتجة عن الهزيمة العسكرية التي لحقت بالمقاومة من جهة أخرى،

---

1 - شوقي عطاءالله الجمل، **المغرب العربي الكبير**...، المرجع السابق، ص349.

2 - أبو بكر القادري، **مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية 1941-1945**، ج2، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1993، ص428.

3 - صلاح العقاد، المرجع السابق، ص282.

* - أبو شعيب الدكالي (1878-1937): ولد بالريف، تعليمه الأول مسقط رأسه، إنتقل إلى مصر 1897 ليواصل تعليمه بالأزهر، ثم إتجه إلى مكة لمواصلة التعليم، تأثر بالتيار السلفي وأصبح من خطباء الحرم المكي، عاد إلى المغرب وحارب البدع والخرافات وتزعم حركة الإصلاح. للمزيد أنظر، محمد حجي، **موسوعة أعلام المغرب**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986، ص23.

تعززت هذه الحركة بزيارة شكيب أرسلان إلى مدينة تطوان سنة 1930، كان لهذه الزيارة تأثير في بلورة ونضج الحركة الوطنية المغربية[1].

ما يميز الفكر السلفي في المغرب الاقصى أنه صادف واقعا إجتماعيا وسياسيا جعل زعماءه يتبنون هذا الفكر ليس فقط كفكر إصلاحي ديني ، بل كخلفية فكرية لعمل سياسي ، فرض نفسه خصوصا بعد فشل حركة المقاومة الأولى نهاية العشرينات وبروز مقاومة من نوع آخر هي العمل الوطني السياسي، وقد تمثل هذا التساوق بين الفكر السلفي والعمل الوطني في عدة مظاهر عملية منها :

- إصلاح التعليم (التعليم الحر أو القرويين).
- إصلاح المجتمع والتمهيد للعمل السياسي.

إصلاح التعليم كان يأخذ العناية الكبيرة من السلفيين والنخبة المغربية بشكل عام ، وتوزعت جهود هؤلاء في إتجاهين أساسيين، أولهما يعمل على إصلاح التعليم التقليدي في جامع القرويين وما يرتبط به من مساجد جامعة، والثاني يعمل على خلق تعليم جديد ينافس ويضاهي التعليم الفرنسي الرسمي[2].

والدعوة إلى إصلاح التعليم ونضمه لم يخرج عن المناخ الفكري والسياسي الذي ساد في مجتمعات المغرب العربي ، وهي بصدد ربط إصلاح الدين وتطوير لغته ونظمه التعليمية في نطاق معركتها من أجل الدفاع عن الهوية ومقاومة الإستعمار [3]، وعلى هذا كان دور السلفية في نشأة الحركة الوطنية دورا فعالا ومؤثرا، لأن أغلب الأطر الشابة لهذه الحركة في المرحلة الأولى كانت من تلام يذة رواد السلفية المغربية[4]، والثابت في تجربة الجيل الأول للحركة الوطنية بالمغرب هو أن المسألة التعليمية في بعديها التربوي والثقافي ظلت مطلبا على درجة من الأهمية، شأنها في ذلك شأن الدعوى إلى إصلاح الدين وتحديث الدولة[5].

---

1 – أحمد عادل،في دورية كان التاريخية الإلكترونية، ع4، **دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2008، ص** ص30-31.

2 – محمد الفلاح العلوي، مجلة أمل، العدد المزدوج 25-26، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 2002، ص41.

3 – احمد مالكي، **الحركة الوطنية والإستعمار في المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1993، ص240.

4 – مجموعة مؤلفين، **المقاومة المغربية ضد الإستعمار 1904–1955، الجذور والتجليات**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أغادير المغرب، 1997، ص214.

5 – احمد مالكي، المرجع السابق، ص240.

إن إعتمادنا على ماهو مشترك بمقاربة المكانة التي حظي بها موضوع الهوية في تفكير النخب السياسية المغربية ، قد يفسره ذلك الحضور للسلفية كمنظومة أفكار وقيم ورؤيا تتحدد على أساسها الشعارات المركزية للحركة الوطنية، فأصبحت السلفية تهيكل الحركة الوطنية بالرغم من بروز إديولوجيات أخرى، وطنية من حيث مضمونها السياسي، ليبيرالية من حيث منطلقاتها في التفكير. لهذا نجد واقعان إثنان في النخبة المغربية التي برزت مطلع ثلاثينيات القرن الماضي، فالواقع الأول تمثله السلفية التي تحولت من مجرد دعوى إلى تطهير الدين وتخليصه مما هو سلبي، إلى إديولوجية تغذي العمل الوطني، وتسوغ شعاراته، أما الواقع الثاني مثلته النخبة الليبيرالية المتشبعة بالثقافة الغربية. وتوضيحا لذلك نجد من بين واحد وأربعون شخصية برزت في زعامة الحركة الوطنية المغربية مابين 1912 – 1944، يمكن إحصاء ستة عشر منهم كانوا قد تخرجوا من القرويين ، وستة لم يتعدو مستوى المدارس القرآنية، على عكس توقعات ليوطي فإن المعهدين (معهد مولاي إدريس ومعهد مولاي يوسف) الذين فتحهما لمد الطلبة المغاربة بتكوين عصري قد تحول إلى مشتلة لتكوين المعارضين السياسيين، ومن بين هؤلاء الشباب الذين سيكون لهم دور بارز في قيادة الحركة الوطنية[1]

3– تبلور النضال التحرري في الحركة الوطنية المغربية :

إن إنكسار حرب الريف كواقع م ؤشر لإستنفاذ مرحلة تاريخية لتطور العمل الوطني والبحث عن حلول أخرى [2]، فقد إنتقل ثقل المقاومة إلى الحركة الوطنية ، ذات الفكر السلفي للدفاع عن الهوية بأبعادها الدينية واللغوية والثقافية، فالسلفية في المغرب لم تتوقف عند حدود العودة للسلف الصالح والكتاب والسنة، بل تجاوزت ذلك لتصبح أساسا لتعبأة القدرات وتوجيه حركة النضال لمقاومة الإستعمار ولهذا تصدرت السلفية تفكير النخبة السياسية المغربية ووجهت حركتها الوطنية سواءا قبل العمل السياسي المهيكل والمنظم أو بعده للدفاع عن الوطن[3].

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن الحركة السياسية في مراكش بدأت في النضال موازية للثورة المسلحة وتزكيها وتدعوا إليها، فإنبثق في الدار البيضاء عام 1924 مركز للنشر والتوزيع تابع لقادة الريف ،كما إنعقد مؤتمر بفرنسا في السنة الموالية، نظمه العمال المغاربة لتنسيق العمل التضامني مع

1 – أحمد عبيد،المرجع السابق، ص234.
2 – محمد مالكي، المرجع السابق، ص250.
3 – نفسه، ص322.

ثورة الريف [1]، كما ظهر في الفترة ما بين 1926- 1930 بالمغرب الأقصى إتجاهان بين أوساط الشباب المغربي، إتجاه أول يمثل الحركة الإصلاحية بمدينة فاس تحت قيادة علال الفاسي، وإتجاه ثاني يجتمع حول حركة تسمى "أحباب الحقيقة" ترأسها أحمد بلافريج* بمدينة الرباط[2]، هذا الإتجاه الأخير كان أكثر حداثة وإطلاع على الأمور السياسية، والملاحظ أن كلا الإتجاهان لم يجدا الوسائل لتخطي المراحل للوصول إلى مرحلة العمل النضالي، مما جعل السلطات الفرنسية تستغل هذا الفراغ وتقوم بإعلان الظهير البربري في 16 جانفي 1930،[3] لتجسيد سياستها الاستعمارية القائمة على سياسة فرق تسد.

- الظهير البربري وبروز الحركة الوطنية المغربية :

كانت فرنسا تسير على سياسة التفرقة بين عناصر الشعب المغربي، لكي تدعم حكمها في البلاد ورأت أن أكبر خطر يهددها في المغرب ، هو إنتشار حركة الوحدة العربية أوالإسلامية، فظهر ت بسياسة جديدة تهدف إلى الفصل بين العرب والبربر، ورأت فرنسا أن 48% من سكان المغرب الأقصى يعيشون في الجبال والأرياف يحتفظون بلغتهم القديمة ، التي سبقت مجيء الفتح الإسلامي، وعلى هذا الأساس سعت فرنسا الفصل بين لغتهم القديمة ، وبين من إعتز بلغة الضاد، بمعنى إنقسام المغاربة إلى قسمين، وإعتقدت فرنسا أن سكان الجبال لم يكونوا قد هضموا بعد ميدان العقيدة الإسلامية الواضحة.

ولتجسيد سياسة التفرقة ، رأت فرنسا أنه يجب الإعتراف بتقاليد المنطقة القديمة ، وتثبيتها بشكل يوقف تطبيق الشريعة الإسلامية فأصدرت الظهير البربري،[4] بتاريخ 16 ماي 1930 (انظر الملحق رقم5)، والصادرة في الجريدة الرسمية في عددها 919 بتاريخ 06 جوان 1930 المنظم لسير العدالة

---

1 - عبد العزيز عبد الله، **تاريخ المغرب العصر الحديث والفترة المعاصرة**،ج2، مكتبة السلام، المغرب، (د.ت)، ص117.

* - أحمد بلافريج (1908-1990): ولد بالرباط من عائلة محافظة، تلقى تعليمه بها وحصل على شهادة البكالوريا، إنتقل إلى فرنسا للدراسة وبها حصل على دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، أحد زعماء الحركة الوطنية المغربية. للمزيد أنظر، معمر العايب، **مؤتمر طنجة المغاربي دراسة تحليلية**، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص38.

2 - معمر العايب ، المرجع السابق، ص37.

3 - نفسه، ص38.

4 - جلال يحي، المرجع السابق، ص ص1093-1094.

في منطقة القبائل ذات الأعراف البربرية، والتي لا يوجد بها محاكم شرعية[1].

إذا فالسياسة البربرية ترمي لفرنسة المغرب لغويا وسياسيا وقضائيا، وتتخذ لذلك وسائل التفرقة بين فئتين كبيرتين في البلاد، فأصبحت الجماعات القبلية التي كانت مهمتها الدفاع عن القبيلة وتبليغ مصالحها المحلية، تجعل من بعض الأعراف الجاهلية قانونا ثابتا، ويصل بها الغلو إلى أن ترفع قضايا الجنايات التي تقع في الأراضي البربرية إلى المحاكم الفرنسية، وهكذا تجرد جزء كبير من رعايا البلاد من سلطة الملك الدينية [2]، والمقصود الأول والأخير من هذا الظهير تقسيم المغاربة والقضاء على الشرع الإسلامي، وبعث أعراف جاهلية لبسط الحكم والقانون الفرسي وإخراج المغاربة من نفوذ السلطان وإلحاقهم بفرنسا والقضاء على اللغة العربية وعلى الوجود العربي الإسلامي بالمناطق البربرية، وإدماجهم بفرنسا دينا ولغة وأحكاما، واعتبر هذا الظهير سببا في إنتفاضة قوية قام بها الشعب المغربي ردا على السياسة البربرية و فضح مراميها وأهدافها.

يعتبر المرحوم الزعيم عبد اللطيف الصبيحي * أول من تنبه لخطر هذا الظهير، بعد ما إطلع عليه قبل صدوره [3] في الجريدة الرسمية لأنه كان موظفا بإدارة الأمور الشريفية، وبمجرد أن إطلع على هذا الظهير ، صار يعلن إستنكاره له مع أصدقائه وإخوانه وأتباعه بالرباط وسلا وفي طليعتهم أعضاء النادي الأدبي الإسلامي، وبعد صدور هذا الظهير زاد من نشاطه وأصبح يطوف المجتمعات والأندية شارحا مخاطر وأضرار هذا الظهير داعيا إلى مقاومته بكل الوسائل[4]، مما تولد عن هذا الإجراء إستياء شعبي مثير، فإنطلقت أول تظاهرة من أحد مساجد سلا بعد صلاة الجمعة في 20 ماي 1930، لتنتقل هذه الحركة إلى جامع القرويين بفاس.

---

1 – عبد المطلب الزيزاوي، **أوهام الظهير البربري السياق والتداعيات**، إصدارات فيديرانت، المغرب، 2003، ص12.

* – عبد اللطيف الصبيحي : ولد بمدينة سلى 1897 بعد دراسته للعربية والقرآن، إلتحق بمالمدارس الفرنسية بالمغرب وتخرج منه، واصل دراسته في باريس وتحصل على دبلوم الحقوق، وظف بإدارة الشؤون الشريفية، عزل من الوظيفة بسبب موقفه المناهض للظهير البربري. للمزيد أنظر، أبو بكر القادري، **مذكراتي في الحركة الوطنية**...، ج1، المرجع السابق، ص50.

2 – علال الفاسي، **الحركات الإستقلالية**...، المصدر السابق، ص ص123-124.

3 – عبد المطلب الزيزاوي، المرجع السابق، ص36.

4 – أبو بكر القادري، **مذكراتي في الحركة الوطنية**...، ج1، المرجع السابق، ص50.

وبرز في هذه الأحداث قيادات شابة مثل علال الفاسي، عمر بن عبد الجليل ومحمد الحسن الوزاني *، خاصة الأخير الذي كان محركا للتظاهرات والإحتجاجات، وإعتبرت هذه التظاهرات ميلاد لحركة سياسية وطنية بالمغرب الاقصى[1].

عرفت الفترة الممتدة ما بين 1930- 1934 إجتياز الحركة الوطنية المغربية مرحلة المتابعة والإنتقال إلى مرحلة النشاط، وأول ما بدأت به كحركة سياسية الدفاع عن وحدة البلاد، مما عرض زعماؤها للتنكيل والضرب والسجن والنفي [2]، فتكونت على إثرها حركة تزعمت جمع التوقيعات والعرائض المنددة، إنتهت بتكوين أول وفد مفاوض إستهدف الإفراج على المعتقلين ولقاء السلطان، وقد تحقق ذلك مقابل توقيف قراءة اللطيف.

بعد هذه التطورات مباشرة تم تكوين تنظيم سري رافض للظهير البربري ومحتوياته ، يتكون من رجال الحركة الوطنية في المنطقة الخليفية والسلطانية في إنسجام وتوافق تام ، إستغل الوطنيون في الشمال فرصة الإنقلاب الذي أطاح بالملك في إسبانيا سنة 1931 ووصول الجمهريون للسلطة، فصاغوا مطالبهم والتي حملتها الرسالة المشهورة لعبد السلام بنونة ** إلى السلطات الإسبانية والتي تضمنت مطالب كثيرة ولكنها لم تخرج عن الصياغ الإصلاحي في ظل الحماية[3].

– ظهور كتلة العمل المغربي :

لم تعتبر كتلة العمل الوطني في المغرب الاقصى حزبا سياسيا بالمعنى المفهوم، بل كانت تمثل إتجاها سياسيا وطنيا بين القادة الوطنيين للعمل من أجل البلاد، وكانت تستند إلى أسس سياسية ودينية قبل إعتمادها على الأسس الإجتماعية والطبقية، لكن هذه الكتلة نزلت إلى الميدان من أجل العمل

1- Armand Collinn, **Les partis politiques marocains Ed**. R.Rezette, Paris, 1955, p74.

* – محمد الحسن الوزاني (1910-1978) : ولد بفاس ودرس فيها، إلتحق بثانوية مولاي إدريس بالرباط ثم إنتقل إلى باريس لمواصلة الدراسة، يعتبر أحد الرواد الوطنيين الأوائل الذين أسسوا الحركة الوطنية المغربية بعد عودته من فرنسا، شارك في المظاهرات ضد الظهير البربري. للمزيد أنظر، عبد الرزاق السنوسي معنى، المرجع السابق، ص51.

2 – علال الفاسي، **الحماية على مراكش**...، المصدر السابق، ص35.

** – عبد السلام بنونة : يعتبره المؤرخون أبو الحركة الوطنية المغربية، بدأ نشاطه السياسي والعلمي سنة 1916، بتأسيس المجمع العلمي المغربي وإنشاء المدرسة الأهلية، قام بتوعية الشعب في الشمال المغربي للوقوف في وجه الإستعمار الإسباني. للمزيد أنظر، محمد بلقاسم، **الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ جامعة الجزائر، 1994، ص171.

3 – – أحمد عادل، المرجع السابق ، ص31.

الجماهيري سنة 1934، حيث رفضت الإقامة العامة الفرنسية للسلطان محمد الخامس أن يقوم بالصلاة في جامعة القرويين التي كانت معقلا من معاقل الكتلة الوطنية.

إنتهزت هذه الكتلة الفرصة لكي تزيد من إعلان ولاءها للسلطان، وتتخذ شعار الوحدة الوطنية أساس الكفاح الوطني والإسلامي ضد السيطرة الأجنبية على البلاد[1].

تقدمت هذه الكتلة بخطتها الإصلاحية في المغرب لكل من السلطان والإقامة العامة، وهي عبارة عن مذكرة تحوي 134 صفحة، تضمنت إصلاحات دون المساس بمبدأ الحماية، وإعتبرتها كإطار سياسي معبر عن الحركة الوطنية بالمنطقة الفرنسية[2]، قبلت الإقامة العامة في الرباط بدراسة هذه المطالب، إلا أنها خضعت لضغوط المستعمرين و المعمرين الفرنسيين بالمغرب.

ظهر أنشقاق داخل الكتلة بعدما أعلن محمد الوزان إنسحابه من الكتلة لعدم رضاه بنتائج الإنتخابات داخل الحزب التي أسفرت عن فوز علال الفاسي برئاسته، هذا الإنقسام سي ؤخر وصول المعسكر الوطني إلى تحقيق أهداف واضحة، وهذا الإنشقاق سي ؤدي إلى ظهور حزب جديد "حزب الشورى والإستقلال" برئاسة محمد حسن الوزاني، في هذا الوقت ستتبلور كتلة علال الفاسي وأحمد بلافريج بشكل حزب وطني.

أما في ما يتعلق بمنطقة النفوذ الإسباني فنلاحظ قيام الحرب الأهلية الإسبانية وما تلى ذلك من قيام الجمهوريين، ثم وصول الجنرال فرانكو إلى الحكم[3]، حدث تقارب بينه وبين زعماء الحركة الوطنية في الشمال الذين دعموه وحشدوا الآلاف من المواطنين المغاربة للقتال إلى جانبه، وكان من نتائج هذا التقارب السماح للوطنيين بتأسيس الأحزاب السياسية فأسس عبد الخالق الطريس *، الحزب الإصلاحي الوطني، وأسس محمد المكي الناصري حزب الوحدة المغربية، وعلى العموم كانت أهداف وغايات الحركة الوطنية المغربية في الشمال والجنوب متطابقة.

---

1 - جلال يحي، المرجع السابق، ص1096.

2 - أحمد عبيد، المرجع السابق، ص240.

3 - Mohamed el Alami, **Allal el Fassi Patriarche du nqtionalisme marocain**,Arrissala, Maroc, 1972, P65.

* - عبد الخالق الطريس (1910-1970): ولد بمنطقة الريف المغربي، درس بالقرويين ثم سافر إلى القاهرة 1928 للدراسة ثم إلى باريس ليكمل دراسته الفلسفية، إنخرط بالعمل السياسي بالمغرب سنة 1934، أصدر جريدة الحياة الأسبوعية، وفي 1936 أنشأ حزب الإصلاح الوطني. للمزيد أنظر، عبد الرزاق السنوسي معني، **مسارات مائة شخصية فاعلة في تاريخ المغرب من القرن 19 إلى 21**، ج1، مطبعة ليموريا، المغرب،2010 ص47.

- ظهور الحزب الوطني :

بعدأن أحدثت كتلة العمل المغربي نجاحا في توجيه الشعب وتعبئته، أصدرت الإدارة الفرنسية حل الكتلة يوم 18 مارس 1937 فعمل زعماء هذه الحركة بعقد مؤتمر سري بالرباط في أفريل 1937، تقرر فيه تأسيس الحزب الوطني لتحقيق مطالب الشعب، ويضم جميع أعضاء كتلة العمل الوطني [1]، لم يعمر طويلا هذا الحزب بعد أن دخل في مواجهات عنيفة ضد سلطة الحماية، مما جعلها تقوم بإعتقال ونفي زعماء الحزب أمثال علال الفاسي وأحمد بلافريج [2]، وهكذا عبرت الحركة الوطنية المغربية بعد مرور السنوات السبع من ظهور الظهير البربري سنة 1930 حتى إعتقال قادة الحركة سنة 1937 عن مرحلة برز فيها النضال السلمي السياسي مكان العمل المسلح من أجل الدفاع عن الهوية بكل مكوناتها والعمل على تحقيق الكثير من المكاسب في ظل دولة الإحتلال.

1 - علال الفاسي، **الحماية على مراكش**...، المصدر السابق، ص176.

2 - احمد مالكي، المرجع السابق، ص195.

المبحث الثاني: علال الفاسي واسهاماته في تحرير المغرب الاقصى.

1- النشأة والتكوين:

أ – المولد والنشأة :

علال الفاسي عالم وأديب وخطيب وزعيم سياسي ولد بمدينة فاس المغربية 8 محرم 1328 هـ الموافق لـ 10 يناير 1910، من عائلة عربية نزحت من الاندلس واستوطنت بفاس، ووالده عبد الواحد الذي كان يشتغل بالتدريس بجامعة القرويين إلى جانب عمله بسلك القضاء، وأمه لالة راضية لمسفر، كان علال وحيد والديه وعاش يتيم الام منذ طفولته[1].

يعتبر آل الفاسي من شرفاء المغرب الأقصى وكان لهم أدوار مختلفة في البلاد خاصة المجال السياسي والاجتماعي والثقافي، وكانت هذه الاسرة احدى دعائم الطريقة الشاذلية، والتي خرجت الكثير من العلماء الذين كان لهم تأثير على اوضاع المغرب الاقصى[2].

ولقد كان علال يحضر اجتماعات والده عبد الواحد مع زملائه، فترة انشاء الزاوية الناصرية الحرة لتربية الناشئة وتهيئتهم للنضال ضد الاستعمار [3]، ومن اسلاف علال الفاسي بن علي بن عبد الله المنجوب، الذي أصبح أكبر مستشاري السلطان آن ذاك، ثم جاء القاضي محمد بن عبد القادر بن عبد الرحمان الفاسي فكان مدرسا بالقرويين، ومن أشهر علماؤها، كما يذهب بعض المؤرخين إلى أن عائلة الفاسي من أصل قرشي انتسابا إلى بني فهر بن مالك[4].

ب – تحصيله العلمي والمعرفي:

بدأ علال الفاسي حياته الدراسية على يد أبيه عبد الواحد في البداية، وعند بلوغ الخامسة أرسله والده إلى الكتاب القرآني فتعلم فيه مبادئ العربية وحفظ القرأن الكريم وعمره سبع سنوات، كما حفظ بعض النصوص الدينية والأشعار، وفي هذا الوقت توفيت والدته فحزن حزنا شديدا[5].

---

1 – عبد الرزاق السنوسي معني، المرجع السابق، ص49.

2 – محمد العلمي، **علال الفاسي راد الحركة الوطنية**، مطبعة الرسالة، المغرب، (د.ت)، ص12.

3 – أسيم القرقري، **علال الفاسي إستراتيجية مقاومة الإستعمار**، إفريقيا الشرق، المغرب، 2010، ص16.

4 – محمد رحاي، المرجع السابق، ص67.

5 – محمد العلمي، المرجع السابق، ص34.

تزوج والده بعد أعوام من عائشة المرنيسة، التي كان يكن لها حبا كبيرا وينابيها أمي عائشة، وكانت تعامله معاملة الام لولدها خاصة وانها لم تنجب أولادا.

واصل علال الفاسي دراسته في المدرسة الصادقية الحرة، حيث تعلم مبادئ الفقه والتوحيد والنحو والادب والعروض، وبدأ هناك يتعرف على رفاق له، وكانوا يرتدون الزي التقليدي القومي، وكان هؤلاء الشباب ، أمثال عبد العزيز ادريس والهاشمي الفيلالي ومحمد الفاسي وعمر بن عبد الجليل وغيرهم متعطشين للعلم ومتشبعين بالوطنية، والشيء الذي ساعدهم على الانضباط والالتزام رعاية أولياؤهم، ومحدودية مجال اللهو واللعب[1].

وبعد نجاح علال الفاسي في المدرسة الناصرية، إلتحق بكلية القرويين وهو في سن الرابعة عشر حيث تابع دراسته العليا، فكان مثابرا شغوفا بالمطالعة وتعرف هناك على النجباء والناشطين داخل الكلية.

كان علال الفاسي يتتبع أخبار حرب الريف وهو في القرويين، وعلق عليها، وكان يدعوا في الأوساط الشعبية لعبد الكريم الخطابي، ويعرف بنضاله المستميت، ولقد إقتصر نشاطه على تحرير المناشير مع بعض الرفاق ثم توزيعها على السكان، وأهم تلك المناشير كانت تتناول قضية التهمة التي كانت السلطات الفرنسية والإسبانية تروجها مدعية أن عبد الكريم الخطابي كان "يصمم للحكم" وقد تحدث علال الفاسي عن المسألة بقوله "وكان غرض الإستعماريين في هذه الدعاية أن يقنعوا المرحوم مولاي يوسف والمخزن بسوء نية عبد الكريم ليبرروا تدخلهم المسلح ضده..."[2].

وبعد ذلك برز علال الفاسي سنة 1925 كرائد ملهم، مدشنا جهاده التحريري الباسل بنظمه لقصيدة

"أبعد مرور الخمس عشرة ألعب وألهو بلذات الحياة وأطرب"

ظهر علال الفاسي ذلك الفتى الأديب المشهور بين مثقفي فاس والرباط وتطوان، وأمسى بالتالي إسم علال الفاسي الشاعر يذكر إلى جانب أكبر الشعراء المعاصرين، وعقب إزدهار الحركة السلفية في

1 – محمد رحاي، المرجع السابق، ص ص67-68.

2 – نقلا عن محمد العلمي، المرجع السابق، ص ص36-37.

المغرب فيما بين 1926م و 1930م، برز علال الفاسي كإمتداد نظري لأبي شعيب الدكالي ولمحمد بن العربي العلوي.

ومن ثم رأى علال الفاسي ضرورة الإصلاح الديني، وبدور هذا الإصلاح في إعداد الشروط المناسبة للنضال السياسي وغيره.

ومن هنا نستنتج أن إنطلاقة علال الفاسي في مساره النضالي الطويل، كانت إنطلاقة تدرجت من السلفية إلى الوطنية.

إشتهر علال الفاسي في هذه المرحلة بكتابة ونظم القصائد حتى أصبح مشهورا بين مثقفي فاس والرباط وتطوان وعمره لا يتعدى آنذاك السبع عشرة سنة، وكان يتقيد في شعره بقواعد العروض و كانت أغراضه دينية ووطنية.

وحينما أصبح عمره خمسة عشر سنة كتب قصيدة متنبئا بمستقبله فيقول في أحد أبياتها

سيعرفني قومي إذا جد جدهم كما عرفوني إذا قمت أخطب.

وكان لعلال الفاسي نشيد مشهور بعنوان "مغربنا وطننا" وقد جعله أنصاره النشيد الرسمي للحرب لما كان علال الفاسي في المنفى يقول فيه:

مغربنا وطننا روحي فداه

ومن يدرس حقوقه يدق رداه

دمي له روحي له

وما ملكت في كل آن

الحرية جهادنا حتى نراه.

كثيرا ما يستشهد مناضلوا الشبيبة الإستقلالية ببيت علال الفاسي الذي يقول فيه:

كل صعب على الشبان يهون هكذا همة الرجال يكون.[1]

يتضح أن علال الفاسي ينفرد ضمن كوكبة مضيئة بالفكر بخاصية مميزة، فهو الوحيد الذي جمع بين الإجتهاد الديني، والتنظير الفكري، والإبداع الأدبي، وبين العمل السياسي الوطني ومقاومة الإستعمار

1 – محمد رحاي، المرجع السابق، ص69.

والكفاح من أجل تحرير الوطن والمواطنين من التخلف والتبعية والتراجع الحضاري، فلا يوجد من تلك الكوكبة من ناضل سياسيا وقاد الحركة التحررية الإستقلالية الوطنية، وعرف المنفى لمدة تسع سنوات وعان الحرمان والقمع، ومن وحشية المستعمر، الذي كان يرى في علال الفاسي العدو اللدود لهم.[1]

ج – آثـاره:

كان إنتاج علال الفاسي غزيرا، فقد أخرج أكثر من عشرين كتابا بالإضافة إلى محاضرات ومقالات صحفية كثيرة ونذكر منها:

- الحركات الإستقلالية في المغرب العربي بتكليف من جامعة الدول العربية، أعطى الفاسي في هذا الكتاب صورة لواقع بلاد المغرب العربي تحت الإستعمار، وأضاف كتاب آخر
- المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى.

وفي مجال الشريعة الإسلامية كتب كتاب تحت عنوان:

- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ويوجد كتاب آخر دفاع عن الشريعة ليوضح فيه محاسن ومبادىء الشريعة الإسلامية وأنها صالحة لكل زمان ومكان وله أيضا كتاب " المدخل الفقهي الإسلامي" وكتاب "تاريخ التشريع الإسلامي"
- وله أيضا "حديث المغرب في المشرق".
- حماية إسبانيا في مراكش من الوجهتين التاريخية والقانونية.
- ومن أهم مؤلفاته كتاب "النقد الذاتي" يتضمن آراءه وتوجيهاته الإصلاحية متخذا من الحرية والفكر أساس لكل نجاح ومن مؤلفاته أيضا:
- منهج الإستقلال.
- معركة اليوم والغد.
- عقيدة وجهاد.
- نداء القاهرة.
- الحماية في مراكش.

1 – عبد القادر الإدريسي، **علال الفاسي قمة من المغرب ملامح من فكره ومعالم من سيرته**، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 2011، ص18.

- الديمقراطية وكفاح الشعب من أجلها.
- مدخل في النظرية العامة لدراسة الفقه الإسلامي.
- كي لاننسى.
- في منفى الغابون.
- رسائل تشهد على التاريخ.

و – وفـاته:

أثناء زيارة علال الفاسي إلى رومانيا بدعوة من "جبهة الوحدة الإشتراكية" الرومانية، فكان مبعوثا لحزبه وقابل خلال زيارته لرومانيا برئيس جمهوريتها "نيكولاي تشاوسيسكو"*، تناول معه الحديث عن قضايا الوطن العربي والعلاقات العربية الرومانية، وأثناء هذا الحديث أصاب علال الفاسي إنهيار وإختناق في مكتب الرئيس الروماني، نقل على إثرها إلى المستشفى [1]، أين إنتقل إلى جوار ربه ظهر يوم الإثنين 20 ربيع الثاني 1394هـ الموافق ل 13 ماي 1974م ، في بوخاريست وهو يؤدي في الرسالة التي خلق من أجلها، بعد خمسين عاما من الجهاد المستمر لإعلاء كلمة الله ونصرة الحق[2].

نقل جثمانه في طائرة خاصة إلى أرض وطنه المغرب، وشيعت جنازته يوم الأربعاء من نفس الشهر في جنازة مهيبة، دفن في مقبرة الشهداء بالرباط.

وقد كان إلتحاقه بالرفيق الأعلى فاجعة كبرى وخسارة عظمى ومصيبة لا تعوض، إذ كان قائدا وطنيا ومناضلا سياسيا ومقاوما مخلصا ومتحمسا وعالما مثاليا وأديبا متفوقا[3].

---

1 – محمد رحاي، المرجع السابق، ص79.

* – نيكولاي تشاوسيسكو : رئيس جمهورية رومانيا (1967-1989)، اسقط نظامه بعد مظاهرات عنيفة ضد نظامه سقط فيها نحو 1500 قتيل، اعدم نهاية ديسمبر 1989. للمزيد أنظر، محمد رحاي، المرجع السابق، ص79.

2 – أسيم القرقري، المرجع السابق، ص23.

3 – محمد الفاطمي السلمي، **علماء المغرب المعاصرين**، المطبعة الجديدة، المغرب، 1992، ص485.

2- المنهج النضالي التحرري عند علال الفاسي :

يعتبر علال الفاسي علما من أعلام الفكر المتميزين على الساحة الوطنية والعربية والإسلامية، و لعل ما ألبسه هذه الصفة الفريدة، هو ما قدم من الدراسات المعمقة والبحوث الرائدة، التي برهنت على عمق وشمولية فكره، وإطلاعه وإجتهاده وإبداعه في المجالات الفقهية، الإجتماعية، السياسية، الإقتصادية[1]،هذا الرصيد لعلال الفاسي جعله يتبع في نضاله على المنهج الإصلاحي بجانبيه الفكري والثقافي والجانب السياسي، وهدف هذا الإصلاح تحرير البلاد من الإستعمار وتحقيق الإستقلال،

وكان يرى أن تحقيق الإستقلال بعيد المنال، إذا لم يكن ثمة إصلاح فكري وثقافي، لهذا كان منهجه يعمل على تغيير الأنفس بإصلاح فكرها وترشيد العقل، وعدم تعطيل دوره الفعال في تغيير الواقع لأنه هو الذي يفتح أمامنا الآفاق الواسعة لدراسة ما نتناقله من أنباء وشائعات وتقاليد وعادات فيها الحسن والقبيح،كما يؤكد بأن الحركة السلفية هي تمهيد للكفاح العقلي والإجتماعي [2] ، وهو مايعلل إرتباط الحركة السلفية بالحركة الوطنية، والإرتقاء بالسلفية التقليدية إلى سلفية تعتمد على العقل وقضايا الفكر المعاصر [3]، والمنهج الذي إعتمدته الحركة السلفية هي العودة إلى المنابع الصافية إلى التعاليم الإسلامية ونبذ البدع والخرافات، وهو منهج الأفغاني.

يقول علال الفاسي "والسلفية في محتواها الجديد الذي أبرزه جمال الدين الأفغاني حركة شمولية لتطبيق مبادىء الإسلام في كل مظاهر النشاط الإنساني"[4]، وليس هذا معنى العودة إلى الماضي وترك الحاضر، بل هو الإستمداد من التراث بإتباع مناهج تبتغي الجمع بين خصائص المنهجية الإسلامية وبعض مزايا المنهجية الغربية، ويشير علال الفاسي أنه إذا كانت سلفيتنا تمردا على الإستعمار الذي هاجمنا في عقر دارنا وإحتقر مقدساتنا بل أراد أن يطعمها ليجعل منها غذاءا صالحا ليتقوى به علينا[5].

يتضح أن علال الفاسي من السلفيين المجددين الداعين إلى التفكير الديني لإحياء العقيدة الصحيحة والعودة إلى الإجتهاد وأن طريق الإلحاد يؤدي إلى هلاك هذه الأمم. لقد كانه لفكره ونهجه أثر كبير

---

1 – أسيم القرقري، المرجع السابق، ص24.

2 – محمد رحاي، المرجع السابق، ص94.

3 – علال الفاسي، **الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها**، مطبعة الرسالة، المغرب، 1990، ص49.

4 – نقلا عن محمد رحاي ،المرجع السابق، ص103.

5 – علال الفاسي، **منهج الإستقلالية**، مطبعة الرسالة، المغرب، 1999، ص8.

في توعية المواطنين المغاربة، والتأكيد على ضرورة توحيد الصف للوقوف في وجه مكائد الإستعمار ومحاربة المس بالقيم والمبادىء المغربية، فكان يلقي الدروس والمحاضرات بالمساجد والمدارس وبجامع القرويين التي تحضرها النخبة المغربية وعامة الشعب، وفي هذه الدروس كان يمرر أفكاره التحررية وأداء الواجب[1] للوقوف في وجه الإستعمار وسياسته.

فعلال الفاسي حارب أدعياء الدين الذين ينسبون للإسلام ما ليس منه، وإنتقد أهل العلم لجمودهم وعدم تحرر أفكارهم وتغييبهم للعقل[2]، وكان يرفض إحتقار الدين وإستعماله للأهواء والمصالح الخاصة، لأنه يشوه حقيقته ويعطل دور العقل في الحياة فالدين يدعوا إلى التحرر من كل هذه القيود و يرفض السكون والجمود، وفي هذا الشأن يقول علال الفاسي "الإسلام يأبى الجمود وينكر التردد و الجمود...إن الإسلام حركة ولذلك يجب أن تواصل السير دائما إلى الأمام لا أن نقطع الصلة بالماضي ونحاول إستئناف السير من جديد" [3]، وهكذا نصل إلى أنه ليس هناك في الإسلام أصل ديني فوق العقل أي يستحيل للعقل أن يتصوره، كما أنه ليس هناك عقل فوق الدين، وإنما هناك دين مطابق للعقل، وعقل مساعد للدين [4]، ويهدف علال الفاسي باستخدام العقل في الفهم والتحليل السليم والصحيح للرجوع إلى الدين الإسلامي الأصيل، وإزاحة كل ما ألصقته به الأجيال، من الآثار والجمود والجحود والتأويلات والتحريفات التي ألحقها المبطلين، وأرجع الفضل إلى الذين دعوا إلى التجديد الإسلامي الصحيح، وقاوموا كل أنواع الجمود التي لحقت بهذا الدين الحنيف[5].

يمثل كتاب "النقد الذاتي" لعلال الفاسي، برنامجا سياسيا وثقافيا وإجتماعيا، يشييد التغيير الذي يريده علال الفاسي بأن يبدأ من النفس، و العودة إلى الذات، والأخذ بأسباب التقدم والتطور في جانب الفكر والعقل، وفي جانب العمل والإبداع ومقاومة المخلفات الإستعمارية في الأفكار والسلوكيات، لأن الإستعمار قد غزى بثقافته ديار العرب والمسلمين، وهذه الثقافة يجب مقاومتها في

1 – محمد رحاي، المرجع السابق، ص70.

2 – علال الفاسي، **النقد الذاتي**، مطبعة النجاح الجديدة، ط8، المغرب، 2008، ص43.

3 – نفسه، ص92.

4 – علال الفاسي، **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1993، ص68.

5 – علال الفاسي، **حديث المغرب في المشرق**، منشورات مؤسسة علال الفاسي، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، المغرب، 2012، ص13.

حينها،[1] ولا نتركها تتجذر في عقولنا، ويصعب التخلص منها.

ومن الخصائص التي يتميز بها منهج علال الفاسي إعتماده على الوسيلة الحزبية، التي هي صيغة جديدة وعصرية في التنظيم، الذي يوازي تنظيم الطرق الصوفية، لذلك فالسلفية الوطنية إستفادت من بعض وسائل الطرقية في التعبئة والتأطير الجماعي [2]، كما كان للبعد الوحدوي في تفكير علال الفاسي الأثر الكبير في ممارسته ومواقفه وأعماله كلها، فكانت أبرز معالم مناهجه السياسية وأضحت من سمات نضاله الوطني حتى صار رمز للوحدة، وإسمه رديفا لها وعنوانا عليها، وإرتكزت مفاهيم الوحدة على أساس المفاهيم التي حركت حوافز النضال الوطني في بداياته الأولى، ولذلك كانت أصيلة، عميقة الجذور، ذات أبعاد متعددة، ومنطقها أساسا من البعد الإسلامي الذي يدفع إلى العمل الوحدوي في مختلف أشكاله وتنوع مناحيه[3].

وبهذا يتجلى أهمية الموروث الفكري لعلال الفاسي، فكانت له الركيزة التي قاوم بها الوجود الإستعماري فكان يرى أن مسألة جلاء الأجنبي عن بلاده ليست سوى مرحلة ضرورية لبناء الذات و الوطنية المسلمة بالتحرر من مخلفات الإستعمار اللغوية والقانونية والحضارية.

ومن خلال ما سبق نستنتج أن علال الفاسي إعتمد على المرحلية في النضال، فهو يرى الإصلاح الثقافي والفكري والعودة إلى المنهج الإسلامي الصحيح، سوف يأخذنا إلى المرحلة الثانية الهادفة إلى التحرر و تحقيق الإستقلال.

3- دور و نشاط علال الفاسي وإسهاماته في تحرير المغرب الأقصى :

كان لإزدهار السلفية في المغرب ما بين 1926-1930، متجسدة في طائفة من علماء فاس أساسها العودة إلى العقيدة الصحيحة والسنة النبوية، لها تأثير كبير على علال الفاسي وعلى فكره ونضاله رغم أن سلفيته كانت عقلية ووطنية[4].

إن علامات حس النضال الوطني لعلال الفاسي قد بدأت تبرز منذ العقد الثاني في حياته، وقد برز

---

1 - محمد رحاي، المرجع السابق، ص105.

2 - علال الفاسي، **النقد الذاتي**، المصدر السابق، ص70.

3 - عبد الحق عزوزي، **المرحوم علال الفاسي نهر من العلم الجاري والوطنية الخالدة**، منشورات مؤسسة علال الفاسي، المغرب، 2010، ص174.

4 - عبد الكريم غلاب، **ملامح من شخصية علال الفاسي**، الشركة المغربية للطبع والنشر، المغرب، (د.ت)، ص129.

ذلك بدعواته في الأوساط الشعبية بزعيم حرب الريف على أعداء الوطن، حيث ساهم في تحرير عدد من المناشير وتوزيعها على السكان بغية تأكيد مدى صدق ووفاء رسالة محمد بن عبد الكريم الخطابي للدفاع عن الوطن وتحريره.

وفي سنة 1925 حاولت الإدارة الفرنسية أن تستولي على ماء وادي فاس الذي يعتبر ملكا لسكان المدينة، فقامت مظاهرات كبيرة ضد هذا المشروع الخطير، شارك فيها علال الفاسي، ومما جاء في معرض حديثه عنها في إحدى كتاباته فيقول : " ولقد ألقيت في داخل الإدارة خطابا حماسيا كان له وقع حسن في الجمهور المحتشد، وبعدذلك وضعت أنا والأستاذ الحاج حسن أبو عياد مذكرة قضاها لحكم الناحية الفاسية تطالب بسحب مشروع الإدارة وتتناول حق تمتع الشعب بالحركات العامة التي من جملتها الملكية الخاصة ... إنتهت هذه الحركة بظفر المدينة وسحب إدارة الأشغال لمشروعها"[1].

أ- دور علال الفاسي في بلورة النشاط السري للحركة الوطنية :

من الصفات التي أكسبت علال الفاسي الزعامة، أنه لم يكن زعيم صالون أو زعيم مكتب لكنه كان زعيم الشارع، فقد بدأ نضاله طالب يشعر بواجب الإتصال بالطلاب، من اجل قضية وطنه، وكان يحس بأن دوره ليس في التفكير منفردا، بل يجب التفكير مع الناس وبالناس، وكان يتصل بالعمال ليدرس معهم مشاكلهم، وكان يتصل بالصناع ليدرس معهم مشاكل الصناعة التقليدية، وكان يتصل بالعلماء والمثقفين والصحفيين من كل إتجاه ليناقشهم المشاكل التي فيها يفكرون، وكان يتصل بالمناضلين في الحزب ليدرس معهم أدق المشاكل التي تعترضهم، ولو كانت قضايا محلية يمكن حلها بإجتهاده وعمله وجهاده لا يتردد في ذلك، هذه الصفات التي أكسبته الشعبية بين الناس فلا يرتاح فكريا ونفسيا إلا مع هؤلاء وأولئك، وكان يقدر آراء غيره وخصومه في السياسة، وكان يناضل للإنتصار لمبدأه المنطقي والسياسي، لكنه مع ذلك يظل في علاقاته الإنسانية مع الطرف الآخر [2]، هذه الصفات جعلته يتزعم الحركة الوطنية المغربية فيقول عنه الأستاذ المختار السوسي "وإخترناه رئيسا لجماعتنا السرية الأولى في القرويين مع أنه كان أصغرنا سننا لما كان يتمتع به من ذكاء وقدرة على

1 - نقلا علال الفاسي، **الحركات الإستقلالية** ...، المصدر السابق، ص160.

2 - عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص ص5-6.

الفهم والتعبير والإستيعاب والتقدير بين جميع الزملاء"[1].

وعلى هذا الأساس تحمل علال الفاسي منذه صغره مسؤولية الدفاع عن وطنه، وأخذ على عاتقه تأطير وتنظيم الأنشطة بالمدن المغربية، وضمن هذا السياغ تم في 2 أوت 1926 بمدينة الرباط تكوين أول تنظيم ثقافي سياسي أطلق عليه إسم الرابطة المغربية [2]، وبعدها تأسست أول خلية حزبية سرية بالمغرب في 23 أوت 1930 والتي أعتبرت النواة الأولى لأول حزب مغربي تحت إسم "كتلة العمل الوطني"، وكان علال الفاسي من طلائع النخبة في ميلاد هذا الحزب، إلى جانب محمد حسن الوزاني، أحمد بلافريج [3]، وظهور هذا النشاط كان بسبب صدور الظهير البربري الذي أشرنا إليه سابقا مما أدى إلى ردة فعل قوية من طرف الحركة الوطنية الرافضة لسياسة التفرقة التي ينتهجها الاستعمار.

كان لعلال الفاسي الدور الريادي في البناء الهيكلي والتنظيي لهذا الحزب في فترة نشاطه السري وهو أحد الأعضاء العشرة الذين هم في أعلى مرتبة، وعلال الفاسي تكلف صحبة محمد الوزاني بوضع القانون الداخلي لهذا التنظيم[4].

ساهم علال الفاسي في تحرير وصياغة العريضة الإحتجاجية على الظهير البربري وبعد ذلك تأتي أهم عريضة ساهم في إعدادها التنظيم السري، وهي تلك التي تقدم بها وطنيوا الشمال إلى الحكومة الإسبانية، في 8 جوان 1931 عقب سقوط الملكية وقيام الجمهورية في إسبانيا، بدأ التفكير في إستغلال المناسبة في منطقة الحماية الإسبانية وفي هذا الإتجاه أرسل علال الفاسي رسالة إلى الحاج عبد السلام بنونة يذكره بخبر الإنقلاب في إسبانيا، وتولي زامورا رئاسة الحكومة المؤقتة والذي دعى إلى وجوب إخلاء إسبانيا للمغرب خلال حرب الريف، وإعتبرها علال الفاسي فرصة عظيمة قد يستفيد منها المغرب، إن لم تكن من الناحية السياسية فمن الناحية العلمية والأدبية، فإقترح على إخوانه في الشمال تشكيل هيئة من أفاضل المنطقة تذهب إلى مدريد وترفع تهانيها للحكومة الجديدة وتقدم للرئيس عريضة مطلبية في الجانب السياسي والثقافي لتحسين الواقع المغربي، وختم رسالته أنه في مقابل

1 – نقلا عن عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص16.

2 – عبد الحق عزوزي، **المرجع السابق**، ص194.

3 – عبد الكريم غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية المغربية من نهاية الحرب الريفية إلى إعلان الإستقلال**، الشركة المغربية للطبع والنشر، المغرب، 1976، ص37.

4 – محمد ظريف، **الأحزاب السياسية المغربية**، منشورات المجلة المغربية لعلم الإجتماع السياسي، المغرب، 1993، ص24.

إقتراحه سيعمل الوطنيين في المنطقة السلطانية على تأييد مطالب إخوانهم بالشمال.

إعتبرت رسالة الفاسي إلى بنونة حافزا مهما في إرسال عريضة مطلبية، في 1 ماي 1931 حققت فيها الحركة الوطنية في الشمال العديد من الإصلاحات[1].

كان من إنعكاسات الظهير البربري تكتل زعماء الحركة الوطنية، وعلى رأسها علال الفاسي والتي غيرت في طريقة مقاومتها للإستعمار، وعملت على الوقوف في وجهه بشكل علني، وتكتل الشعب ضده وتوجيه الرأي العام والخاص، مما أدى إلى ظهور حركة عنيفة على شكل تجمعات في المساجد الكبرى، ومظاهرات منظمة، وخطب سياسية حماسية، وبرقيات تشكي هذا الظهير الذي يهدف لفرقت المغاربة، وكان المتظاهرون يرددون قول اللطيف: "اللهم يالطيف، نسألك اللطف فيما جرت به المقادير وألا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابرة"، هذا النشاط أدى إلى إعتقال علال الفاسي، وجماعته في جوان 1930، وتعرضوا إلى الضرب والتنكيل الشنيع والنفي [2]، إلا أن هذه الخطوة لم تزد سوى انتشار المظاهرات بشكل أوسع وضغط متزايد على الاستعمار الفرنسي، مما أدى إلى إطلاق سراح المعتقلين،[3] بعد شهرين من الاعتقال و النفى بسجن تازة.

إختير علال الفاسي في اللجنة التي كلفت بوضع المطالب فيما يخص القضية البربرية، والتي صادق عليها بقية الأعضاء وتتلخص في إلغاء الظهير البربري، ومنع كل ما يفرق بين الشعب لكن السلطات الفرنسية منعته من مرافقة الوفد إلى الرباط لمقابلة الملك محمد الخامس بحجة صغر سنه[4].

وفي هذا الجو المشحون والمحرك خاصة للوطنيين ضد الظهير البربري، كانت نقطة تحول في عقلية الوطنيين المغاربة والشعب المغربي، فتم إنشاء "كتلة العمل الوطني" لرغبة الوطنيين في الإنظمام داخل كتلة موحدة تعمل على تنسيق الحركة الوطنية، وكان شرف البدء في هذا العمل لعلال الفاسي بمساعدة صديقه أحمد مكوار وحمزة الطاهري الذين إجتمعوا في فندق "برحبة لقيس" بفاس وعملوا على تأسيس جمعية سرية وضعت لها قوانين وبناء هيكلي والذي سيعرف في سنة 1934 تطورات

1 – محمد ضريف ، المرجع السابق، ص ص26-27.

2 – علال الفاسي، **الحماية في مراكش**، المصدر السابق، ص35.

3 – عبد الحميد المزنيسي، المرجع السابق، ص ص45-46.

4 – نفسه، ص46.

عديدة وتشكلت الهيكلة العامة لهذا التنظيم من عدة تنظيمات هي:

– الزاوية: أعلى سلطة في التنظيم السري وهي أداة لإتخاذ القرار ، الفاسي من بين الأعضاء العشرة.

– الطائفة: المستوى الثاني من التنظيم.

– لجنة السافر: مهمتها التنسيق وربط الإتصال بين مختلف الفروع والجماعات والفاسي من بين الأعضاء الأربعة.

– الخلايا: هي قاعدة التنظيم السري[1].

وإذا كان علال الفاسي قد شغل عددا من الأدوار على مستوى الهيكلة العامة لكتلة العمل الوطني، فإنه قام أيضا بدور أكثر ديناميكية على مستوى آليات عمل هذا التنظيم الحزبي، ويتجلى ذلك في مختلف الأنشطة التي قام بها أو شارك فيها ويمكن إجمالها في النقاط التالية[2] :

– مساهمة علال الفاسي في تحرير العرائض المطلبية.

– دور علال الفاسي في إصدار الصحف.

– العمل على توعية المواطنين وهذا من خلال حلقات التوعية التي كان يدرس فيها آلاف الطلبة في المساجد والمدارس.

– نشاط وإسهامات علال الفاسي من خلال رحلاته إلى شمال المغرب وأوربا.

ب– نشاط علال الفاسي في كتلة العمل و الحزب الوطني :

لم تكن "كتلة العمل" حزب سياسيا بالمعنى المفهوم، بل كانت تمثل إتجاها سياسيا وطنيا يتزعمه قادة وطنيين تعمل من أجل البلاد، وكانت تستند إلى أسس سياسية ودينية قبل إعتمادها على الأسس الإجتماعية أو الطبقية، لكن هذه الكتلة نزلت إلى ميدان العمل الجماهيري منذ سنة 1934[3]، والواقع أن أول برنامج للكتلة الوطنية في المغرب جاء متواضعا، وإشتمل على مطالب

1 – محمد ضريف ، المرجع السابق، ص24.

2 – أسيم القرقري، المرجع السابق، ص58.

3 – جلال يحي، المرجع السابق، ص1096.

إصلاحية داخلية، ولم يشتمل حتى على مطالب واضحة قد تؤدي إلى الإصطدام بالإستعمار الفرنسي[1].

قامت الكتلة بتقديم "مطالب الشعب المغربي" لجلالة الملك والإدارة الفرنسية في سبتمبر 1934، وكان علال الفاسي أبرز أعضاء الوفد الذي قدم هذه المطالب، وفي سنة 1936 قامت "كتلة العمل" بعدة مؤتمرات وتجمعات شعبية بعد أن نظمت نفسها وتشكلت الخلايا، وأصبحت تلح على تحقيق مطالب الشعب السياسية والإجتماعية والإقتصادية، هذا بعد أن قدمت المطالب المستعجلة في 25أكتوبر 1936 لحكومة الجبهة الشعبية الفرنسية الجديدة[2].

قررت كتلة العمل الوطني عقد إجتماع كبير بالدار البيضاء، وقبيل إنعقاده منعت السلطات الإستعمارية عقد هذا الإجتماع، أصر الوطنيون على إنعقاده، فقامت سلطة الحماية بمحاصرة قاعة الإجتماع وإعتقلت منظميه وكان من بينهم "علال الفاسي" وبعد شهر اطلق سراح القادة[3].

بدأ تفكير الوطنيين في "الكتلة الوطنية" ينصب حول تحويل تنظيمهم بعد تقديم المطالب المستعجلة للإدارة الفرنسية، من تنظيم مغلق على نفسه إلى تنظيم جماهيري [4]، وعقب هذا التحويل في بنية كتلة العمل الوطني من حزب مغلق على نفسه إلى حزب منفتح على الواحة الشعبية سيطرح مشكلة السلطة داخل الحزب، حيث أن فكرة القيادة الجماعية لم تعد صالحة بعد هذا التحول، فتقرر في إجتماع الكتلة في جانفي 1937 بعد الإقتراع السري تكوين لجنة تنفيذية شملت :

علال الفاسي رئيسا للحزب ، محمد حسن الوزاني أمينا عاما وأحمد مكوار أمينا للصندوق، إلا أن محمد حسن الوزاني رفض هذا الإنتخاب وإنسحب من الكتلة وأخذ يعمل لإكتساب أنصار جدد بإسم الحركة القومية، بينما سائر الذين كانوا بالإجتماع العام إستمروا في عملهم.

مضت اللجنة التنفيذية المؤقتة في عملها، وجعلت من جريدة "الأطلس" لسان حالها العربي ومن جريدة "العمل الشعبي" لسان حالها باللغة الفرنسية، وعين الأستاذ أحمد بلافريج أمينا عاما مكان

1 – جلال يحي، المرجع السابق، ص1097.

2 – علال الفاسي، **الحركات الإستقلالية**...، المصدر السابق، ص216.

3 – محمد رحاي، المرجع السابق، ص ص71–72.

4 – أسيم القرقري، المرجع السابق، ص75.

حسن الوزاني[1] ثم فتحت مركزها العام بفاس وأخذت التسجيلات تنهال عليها بالآلاف لكن الإقامة العامة لم يرقها هذا الإنتصار الباهر، فإستصدرت قرار بحل الكتلة يوم 18 مارس 1937[2] بعد معارك دموية في مكناس ثم لخميسات، لم يسع الحزب إلا أن يعقد مؤتمر خارق للعادة في الرباط حضره ممثلون لكل فروع الحزب، وقرروا توجيه الحركة نحو المعارضة المطلقة.

بعد أن حلت سلطة الحماية كتلة العمل الوطني، عقد زعماء الكتلة مؤتمر وطني سري بالرباط في أفريل 1937 وضعوا فيه أسس للحزب الوطني كتنظيم جديد، لم يظهر للعلن إلا إبتداءا من 23 جويلية 1937، وهو التاريخ الذي قدم فيه أحمد بلافريج وعمر بن عبد الجليل في باريس مذكرة حول السياسة المتبعة في المغرب من قبل الإقامة العامة في عهد الجنرال "نوجيس". وهكذا إستأنف الحزب الوطني نضاله محتضنا كل أعضاء الكتلة السابقة، وقد جعل مطالب الشعب المغربي برنامجه الذي يدافع عنه والغاية الأولى له، وإذا فقد كان الحزب الذي يجاهد من أجل الإستقلال أولا والإصلاح والتجديد ثانيا، وهذا يعني إستمرار في السياسة المتبعة في كتلة العمل الوطني التي تهدف لتحقيق الإستقلال بإتباع سياسة المراحل في تحقيق مطالبها.[3]

وأمام رفض الحكومة الفرنسية للمطالب الوطنية عمل علال الفاسي وحزبه على إثارة السند الشعبي لتحقيق مطالبهم، فكانت أحداث فاس فرصة مواتية له، حيث خرج سكان المدينة في أوائل سبتمبر 1937 للتظاهر ضد قرار تحويل مجرى مياه "وادي بوفكران" التي كانت تسقي سكان المدينة لصالح بعض المعمرين الفرنسيين، لكن هذه التظاهرة تحولت إلى فتنة بتدخل القوات الإستعمارية أسفرت عن قتلى وجرحى، أدى ذلك إلى ردود فعل وطنية إجتاحت عدة مدن مغربية، كانت هذه التحركات بإيعاز من علال الفاسي[4].

إنتهت هذه الأحداث بالقبض على أغلب زعماء الحركة الوطنية والقضاء على الأحزاب الوطنية

1 – علال الفاسي، **الحركات الإستقلالية**...، المصدر السابق، ص ص224-225.

2 – علال الفاسي، **المغرب العربي**...، المصدر السابق، ص121.

3 – علال الفاسي، **الحركات الإستقلالية**...، المصدر السابق، ص231.

4 – أحمد عبيد، المرجع السابق، ص252.

بالمنطقة الفرنسية[1]، وعلى إثرها إعتقل علال الفاسي في 25 أكتوبر ثم نفيه إلى "الغابون" في نوفمبر 1937[2].

– موقف فرنسا من نضال علال الفاسي:

إن قوة شخصية علال الفاسي وقدرته في تسيير الناس وتوجيههم، وصلابة مواقفه من الإستعمار، وسعيه لإصلاح أوضاع أمته وإرجاعها إلى أصولها الدينية الصحيحة ودعوتها إلى إحياء دور العقل في جميع مجالات الحياة، ما جعل الفاسي يواجه صعوبات منذ بداية نشاطه بسبب الضغوطات التي بدأت سياسة الحماية تطبيقها في حقه، من التضييق وحل الجرائد والنفي والسجن...إلخ، وكان أول رد فعل إستعماري عنيفا ضد الفاسي بعد تأطيره المظاهرات والإحتجاجات وإلقاء الدروس التحريضية في المساجد والمعاهد بهدف إحياء روح الوطنية والوحدة الترابية وكان هذا النشاط بعد إصدار فرنسا للظهير البربري، فتم إعتقال علال الفاسي لأول مرة في الفاتح جويلية 1930 بتهمة إثارة إحتجاج المواطنين ضد الظهير البربري، أفرج عليه بعد أن قضى شهر في السجن، وبعد أسابيع من إطلاق سراحه أعيد إعتقاله على إثر مساهمته في وضع المطالب المغربية التي قدمها الوفد المنتخب لجلالة الملك، هذه المرة تم نفيه إلى قرية بالأطلس المتوسط[3] "سجن تازة".

بعد عودة الفاسي من المنفى لم يتوقف عن إلقاء دروسه وإستمرت زهاءه ثلاث سنوات، وكان لهذه الدروس والمحاضرات أثر فعال في نشر المبادىء الصحيحة والأفكار النيرة وأكسبت الحركة الوطنية تأييد كبير في الأوساط الشعبية، وساهمت في ظهور مجموعة من الشباب المثقف متشبع بالسلفية والروح الوطنية[4]، هذا النشاط لعلال الفاسي أزعج سلطة الحماية ورأت في هذه الدروس مظاهرات سياسية يومية لا يمكن أن يسمح بإستمرارها، فحاولت منعها مرارا، لكنها واجهت صعوبات كون هذه المحاضرات دينية فلا تتجرأ على منعها مباشرة، فإتخذ إسم الملك مستخدمة بعض أذناب أدعياء

1 – أحمد عبيد، المرجع السابق، ص253.

2 – Mohamed El Alami, OP-CIT, PP72-74.

3 – محمد رحاي، المرجع السابق، ص70.

4 – علال الفاسي، الحركات الاستقلالية...،المصدر السابق، ص ص177-178.

المشيخة الذين كتبوا عدة عرائض يتهمون فيها الفاسي بالنيل من الصالحين والمساس ببعض العقائد الصوفية، لكن دفاع الأستاذ محمد بن العربي العلوي بالمجلس الأعلى لجامعة القرويين عرقل مساعي غلاة الإستعمار في إستصدار قرار ملكي لوقف دروس علال الفاسي[1].

في أواخر أوت 1933 سافر الفاسي إلى طنجة ثم تطوان موفدا من طرف "كتلة العمل الوطني" لتنسيق العمل مع الشمال، وقدم هناك كلمة حاسمة يشرح فيها الغاية من الحركة الوطنية سواء في الجنوب أو الشمال المتمثلة في تحرير البلاد، هذا النشاط لم يرق للإستعمار الإسباني، فإستغلت ذهابه إلى مدينة سبته وأصدرت أمر بعدم السماح له بدخول المنطقة الخليفية، فسافر إلى الجزيرة الخضراء ثم إلى طنجة على أمل الرجوع إلى فاس لمتابعة دروسه، إلا أن رسالة وصلته من أعضاء الكتلة تخبره بصدور إذن من باريس بإلقاء القبض عليه ووضعه تحت الرقابة، وأخبروه أن الكتلة قد إجتمعت ورأت أن إعتقاله سيؤدي إلى مظاهرات وإصطدامات عنيفة ليس من المصلحة وقوعها في تلك الظروف. ولهذا فإنها تطلب منه أن يسافر إلى باريس ريثما تتغير الظروف[2]، وعلى إثر ذلك إنتقل الفاسي إلى إسبانيا ثم إنتقل إلى باريس ومكث فيها سبعة أشهر كلها كانت نشاط في العمل الوطني [3]، ليعود بعدها إلى المغرب بعد أن سمح له بذلك في جانفي 1934، ليستمر في إلقاء دروسه والتوعية.

قررت الكتلة في 17 نوفمبر 1936 إقامة مؤتمر بالدار البيضاء للمطالبة بحقوق الصحفيين، لكن السلطات الإستعمارية منعته في آخر لحظة، مما أدى إلى مظاهرات كبيرة في المدينة، وألقى الفاسي في ساحة الحرية خطابا في جموع المتظاهرين منددا بإستبداد الإدارة الفرنسية وطالبهم بالعودة الهادئة إلى منازلهم، لكن الإستعمار إعتقله وبعض المواطنين، فإندلعت مظاهرات جديدة في كل أنحاء المغرب، ما جعل سلطة اللإحتلال تطلق سراح علال الفاسي والمعتقلين وغيرت في سياساتها وبدأت تقدم إعزاءات لعلال الفاسي والتفاهم معه حول المطالب المستعجلة التي كانت قد قدمتها الكتلة،

1 – علال الفاسي، الحركات الاستقلالية...،المصدر السابق، ص178.

2 – عبد الحميد المرينسي، المرجع السابق، ص54.

3 – علال الفاسي، الحركات الاستقلالية...،المصدر السابق، ص180.

لكن الفاسي رفض اللقاء بصفة شخصية وألح أنه مندوب وممثل للكتلة، كما سمح للكتلة بإصدار جريدة "الأطلس" بالعربية وجريدة "المغرب"، ورفع الحجز على جريدة "عمل الشعب"[1].

بعد أن حلت سلطة الحماية "كتلة العمل الوطني" في 18 مارس 1937 وأقفلت المركز العام بدعوى أنها تقوم بمؤامرة ضد الملك [2]، فضل أعضاء الكتلة عدم الدخول في مواجهات ضد هذه الإستفزازات إلى أن تهدأ الأمور، وبعد شهر من حل الكتلة إنعقد مؤتمر تقرر فيه تأسيس "الحزب الوطني"، إختار الحزب سياسة أكثر جرأة في المطالبة بالحقوق السياسية، ومن هنا بدأ الإصطدام مع سلطة الحماية ، إنتهى بإعتقال المسؤولين الرئيسيين في الحزب وعلى رأسهم علال الفاسي يوم 25 أكتوبر 1937 الذي مكث في زنزانة بالسجن العسكري في قصر السوق ثم نقل إلى منفاه بالغابون، حيث قضى تسع سنوات في المنفى وذلك لغاية 26 جوان 1946[3]، وهذا من أجل قضية الدفاع عن تحرير وطنه.

نستنتج من خلال ما سبق ذكره أن فرض الحماية على المغرب سنة 1912 كانت بعد صراع قائم بين القوى الإستعمارية، وإستتباب الأمر في الأخير لصالح فرنسا وإسبانيا، وإستنتجنا أيضا أن الشعب المغربي لم يكن راضيا على فرض الحماية و لا عن السلطان عبد الحفيظ الذي قبل بها، فكانت ردة فعله على شكل ثورات وإضطرابات في المدن المغربية، لتتحول في عشرينات القرن الماضي إلى مقاومة تزعمها عبد الكريم الخطابي في الشمال، رغم أنها لم تحقق الإستقلال وإسترجاع السيادة إلا أن الشعب المغربي واصل كفاحه ضد الإستعمار وفق متطالبات الفترة فإنتقل إلى الكفاح السياسي وظهر زعماء لهذا الكفاح وكان علال الفاسي الذي هو محل دراستنا الزعيم الأول في هذا الكفاح وهذا من خلال ما وصلنا إليه من إستنتاجات حول فكر ومناهج نضاله من أجل تحرير وطنه من الإستعمار، وما كان يشكله من خطر على الوجود الإستعماري، فتعرض إلى ضغوطات كبيرة من تضييق وسجن ونفي من طرف سلطة الحماية.

1 – عبد الحميد المرينسي، المرجع السابق، ص ص60-61.

2 – علال الفاسي، الحركات الاستقلالية...،المصدر السابق، ص225.

3 – محمد رحاي، المرجع السابق، ص72.

الخاتـــــمة

توصلنا من خلال دراستنا لهذا الموضوع أنه لا يمكن التحدث عن الحركة الوطنية في تونس أو المغرب الأقصى فترة الحماية إلا بالتطرق إلى أهم زعيمين حملا على عاتقهما وبأفكارهما الوقوف في وجه الإحتلال، رغم الظروف الصعبة التي مرا بها الزعيمين عبد العزيز الثعالبي وعلال الفاسي، ويمكن أن نستنتج من خلال هذا الموضوع النقاط التالية :

- تعرض كل من تونس والمغرب الأقصى للحماية، كان سببها الرئيسي الإنفتاح على التجارة الأوربية، والدخول في العجز التجاري مما أدى إلى وقوعهما تحت طائلة المديونية والعجز عن تسديد فوائدها بسبب الضعف الداخلي والصراع على السلطة بين الأسرة الحاكمة.
- دخول البلدين نظريا تحت بند الحماية إلا أن الواقع من خلال الدراسة أوضح أن هذه الحماية أصبحت تأخذ طابع الإستعمار المباشر مع الحد من سلطة حكام البلدين.
- تسجيل موجة من الإنتفاضات والمقاومات الملحمية مباشرة بعد فرض الحماية على البلدين والشرارة الأولى لإنطلاقها كانت من مجتمعات الأرياف، مثل إنتفاضة القبائل التونسية بالجنوب التونسي ومقاومة عبد الكريم الخطابي في الريف بالمغرب، لكنها إنتهت بالإنهزام أمام قوة المحتل العسكرية، وموالاة بعض المجتمعات والإنقسامات فيما بينها.
- بروز النضال السياسي كوسيلة جديدة للوقوف في وجه الحماية في البلدين بعد فشل المقاومة وبروز زعماء تسعى لتحقيق الإستقلال، نجد على رأسهم في تونس عبد العزيز الثعالبي وفي المغرب الأقصى علال الفاسي.
- تشبع عبد العزيز الثعالبي وعلال الفاسي بالفكر الإصلاحي والنهضوي المشرقي فكلا الرجلين تأثرا بفكر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبدو.
- الغزارة الثقافية والعلمية العربية والإسلامية للرجلين وما تمتعا به من نبوغ فكري عقلي وقوة الإقناع والقدرة على تجييش الشعوب لتحقيق الإستقلال، إظافة إلى ثراء وتنوع آثارهما من خلال تعدد مؤلفاتهما.
- الإصلاح كان عقيدة عند الرجلين فكلاهما يعمل على إصلاح الدين عن طريق محاربة البدع والخرافات وكل ما لصق بالدين الإسلامي الحنيف، والعودة إلى التعاليم الصحيحة للإسلام مع مواكبة النهضة والتطور الدنيوي، فالإصلاح في جميع الجوانب الدينية، السياسية، الإجتماعية

والفكرية ... وإعتبارهما أن الإصلاح يساهم في تحرير النفس من المثبطات وعقدة النقص ويسهم في إرتقاء الفكر، بالعودة للقيم الشخصية الصحيحة.

- يتضح إختلاف الرجلين في منهجية العمل السياسي للوصول للحرية والإستقلال، فبينما الثعالبي يفضل أسلوب المرحلية التي يبدأها بالإصلاحات الدستورية لتكون نقطة النهاية تحقيق الإستقلال، نجد أن علال الفاسي كان يرى ضرورة المطالبة بالإستقلال كأولوية لتحقيق الإصلاحات الدستورية لأن الإصلاح في وجود المستعمر لا وجود له .
- الفكر التحرري عن الرجلين عرف تغيرا حسب الظروف السائدة، فنجد عبد العزيز الثعالبي بعد ما كانت أفكاره تطالب بالإصلاحات الثقافية والدينية والإجتماعية لتصبح مطالب سياسية تتمثل في تحقيق الإستقلال غداة الحرب العالمية الأولى لكن الظروف لم تكن تسير في صالح تونس، لذلك إضطر الثعالبي لتغيير فكره التحرري والإحتكام للأغلبية التي تسعى إلى تحقيق الدستور مع إبقاء الحماية، أما علال الفاسي في بداية نضاله لم تكن المطالبة بالإستقلال واضحة في أفكاره، ففي البداية رفع فكرة المطالب الإصلاحية المستعجلة لكن السياسة الإستعمارية الفرنسية غيرت من فكره إبتداءا من سنة 1937، فبدأ يتطرف في مطالبه من وجهة نظر الإستعمار ما جعله يتعرض إلى الإبعاد والنفي.
- تعرض عبد العزيز الثعالبي وعلال الفاسي بسبب أفكارهما إلى ضغوطات كبيرة بأشكال متعددة من طرف سلطة الحماية، فكلاهما تعرض إلى السجن والتشويه بالشخصية وإلى النفي والإبعاد.
- تراجع دور الرجلين بعد سنة 1937، وهذا من خلال فشل عبد العزيز الثعالبي في إعادة لم صفوف الحزب الدستوري، فإضطر إلى إعتزال النشاط السياسي فاسحا المجال لشباب الحزب الدستوري الجديد، أما علال الفاسي تعرض في هذه السنة للنفي خارج المغرب ما أدى إلى تراجع نشاطه النضالي في سبيل تحرير الوطن.
- من خلال دراستنا للفكر التحرري عند الرجلين نلاحظ أن هذا الفكر لا يزال في حاجة إلى بحث وتمحيص لغزارة إنتاجهما الفكري وبالخصوص شخصية علال الفاسي نظرا لتجاربه الميدانية أثناء الحماية وبعدها، لتكون منارة للنهضة العربية والإسلامية.

الملاحـــــــق

الملحق رقم 01: معاهدة باردو[1]

معاهدة باردو أو «قصر السعيد»

«إنّ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو باي تونس – لما كان من غرضهما أن يمنعا إلى الأبد حدوث قلاقل كالتي حصلت أخيرا على حدود الدولتين بسواحل المملكة التونسية وأن يحكما علاقات وداديهما القديم وروابط حسن الجوار – قد اتفقتا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين الساميين المتعاقدين. وبناء على ذلك فإنّ فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية قد عيّن العماد بريار نائبا مفوضا من طرفه فاتفق جنابه مع سموّ الباي المعظم على البنود الآتية :

البند الأول : إنّ معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الأخرى الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية وسمو باي تونس قد وقع تأكيدها وتجديدها.

البند الثاني : لأجل تسهيل القيام بالإجراءات التي يتحتّم على دولة الجمهورية الفرنسية اتّخاذها للوصول للغرض الذي يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد رضي سمو باي تونس بأن تحتلّ القوات الفرنسية العسكرية المراكز التي تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل، ويزول هذا الاحتلال عندما تتفّق السلطتان الحربيّتان الفرنسية والتونسية–، وتقرّران معا بأن الإدارة المحليّة قد أصبحت قادرة على المحافظة على استتباب الأمن العام.

البند الثالث : تتعهد دولة الجمهورية الفرنسية ببذل مساعدتها المستمرة لسمو الباي وحمايته من كلّ خطر يمكن أن يهدّد ذاته أو عائلته أو يعبث بأمن مملكته.

البند الرابع : تضمن الدولة الفرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بين السلطات التونسية ومختلف الدول الأوروبية.

البند الخامس : يمثل الدولة الفرنسية لدى سمو الباي وزير مقيم عام تكون وظيفته السهر على تنفيذ هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة بين الدولة الفرنسية وبين السلطات التونسية في جميع القضايا التي تهمّ الجانبين.

البند السادس : يكلف الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لفرنسا في البلاد الأجنبية بحماية رعايا المملكة التونسيّة ومصالحها. وفي مقابل ذلك يلتزم سمو الباي بأن لا يعقد أي عقد ذي صبغة دوليّة من دون إعلام الدولة الفرنسية بذلك والحصول على موافقتها مقدّما.

البند السابع : تحتفظ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباي لنفسها بحقّ الاتفاق على وضع نظام مالي بالمملكة التونسيّة من شأنه الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق دائني المملكة.

البند الثامن : تفرض غرامة حربيّة على القبائل العاصية بالحدود والسّواحل وتحدّد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتفّاق يعقد فيما بعد وتكون حكومة الباي هي المسؤولة على تنفيذ هذا الاتفاق.

البند التاسع : لأجل صيانة ممتلكات الجمهورية الفرنسية بالقطر الجزائري من تهريب الأسلحة والذخائر فإن دولة سمو الباي تتعهّد بأن تمنع قطعا إدخال السلاح والذخائر الحربيّة الأخرى بالمملكة التونسية.

البند العاشر : يقع عرض هذه المعاهدة على دولة الجمهورية الفرنسية للمصادقة عليها وتسلّم وثيقة التصديق عليها بعد ذلك لسمو باي تونس في أقرب وقت ممكن.

وكتب بالقصر السعيد في 12 ماي 1881

الإمضاء : محمد الصادق باي- العماد «بريار»

1 – مجموعة مؤلفين، **تونس عبر التاريخ**...، المرجع السابق، ص21.

الملحق رقم 02: اتفاقية المرسى 08 جوان 1883[1]

«اتفاقية المرسى»

لما كانت عناية سمو الباي المعظم متجّهة إلى تحسين الأحوال الداخليّة بالمملكة التونسيّة وفقا لأحكام المعاهدة المبرمة في الثاني عشر من شهر ماي سنة 1881، وكانت حكومة الجمهورية الفرنسية راغبة تمام الرغبة في تحقيق أغراض سموّه توثيقا لعرى المودّة بين القطرين العامرين، اتّفق الطرفان على عقد اتّفاق لتحقيق هذا الغرض، واعتمد رئيس الجمهورية في ذلك سمو بيار بول كامبون وزيره المقيم بتونس الذي قدم أوراق اعتماده لعقد الاتّفاقيّة المحدّدة في البنود الآتية :

البند الأول : لمّا كان غرض سمو الباي المعظم أن يسهّل للحكومة الفرنسيّة إتمام حمايتها، تكفّل بإدخال الإصلاحات الإداريّة والعدليّة والماليّة التي ترى الحكومة المشار إليها فائدة في إدخالها.

البند الثاني : تضمن الحكومة الفرنسية قرضا يعقده سمو الباي لتحويل أو لدفع الدين الموحّد البالغ 125 مليون فرنك والدين السائر الذي لا يمكن أن يتجاوز 17.550.000 فرنك، ولكنّها هي التي تختار الزمن والشروط الموافقة لذلك، وقد تعهّد سمو الباي المعظم بأن لا يعقد قرضا في المستقبل لحساب المملكة التونسيّة دون إذن سابق من الحكومة الفرنسيّة.

البند الثالث : يخصّص لسموّ الباي المعظم من مداخيل المملكة. أوّلا: المبالغ اللاّزمة للقيام بواجبات القرض الذي ضمنته فرنسا، ثانيا : مخصّصات سموّ الباي وقدرها مليونان من الريالات التونسية (أي 1.200.000 فرنك) وما فضل من ذلك يعين لمصاريف إدارة المملكة ودفع مصاريف الحماية.

البند الرابع : هذه الاتفاقيّة مؤكدة ومكملة للمعاهدة المعقودة في 12 ماي سنة 1881 فيما يحتاج منها إلى التأكيد والتكميل، ولاتتغيّر بها الأنظمة التي سبق وضعها فيما يتعلق بتقرير الغرامة الحربيّة.

البند الخامس : تعرض هذه الاتفاقيّة على الحكومة الفرنسية للمصادقة عليها وتسلّم وثيقة التصديق إلى سمو الباي المعظم في أقرب وقت ممكن. إيذانا بصحّة ما تقدّم حرّرت هذه الاتفاقيّة وختمها الموقّعان بختميهما.

وكتب بالمرسى في 8 جوان 1883

الإمضاء : **على باي /«بول كامبون»**

1 – مجموعة مؤلفين، **تونس عبر التاريخ**...، المرجع السابق، ص22.

الملحق رقم 03: معاهدة فرض الحماية على المغرب[1]

معاهدة الحماية الفرنسية للمغرب

ان حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة الجلالة الشريفة حرصا منهما على احداث وضع قانوني بالمغرب يبنى على النظام الداخلي والامن العام ويسمح بادخال اصلاحات ويضمن نمو البلاد الاقتصادي اتفقا على المقتضيات الآتية :

الفصل ١ ـ اتفقت حكومة الجمهورية الفرنسية وجلالة السلطان على تلبس نظام جديد في المغرب شامل للاصلاحات الادارية والقضائية والمدرسية والاقتصادية والمالية والعسكرية التي ترى الحكومة الفرنسية من المفيد ادخالها بالقطر المغربي .

فهذا النظام سيحافظ على الحالة الدينية وعلى احترام السلطان ونفوذه التقليدي وممارسة الديانة الاسلامية والمؤسسات الدينية وبالاخص منها الاحباس كما يشمل تنظيم مخزن شريف معدل .

وستتفاوض حكومة الجمهورية مع الحكومة الاسبانية في شأن المصالح التي تنوب هذه الحكومة بسبب موقعها الجغرافي أو ممتلكاتها الترابية على الشاطئ المغربي .

وكذلك مدينة طنجة ستحتفظ بصبغتها الخاصة التي اعترف لها بها والتي ستحدد نظامها البلدي .

الفصل ٢ ـ يقبل من الآن جلالة السلطان أن تشرع الحكومة الفرنسية بعد اعلام المخزن في الاحتلالات العسكرية التي تعتبرها ضرورية في القطر المغربي للمحافظة على النظام وعلى أمن المعاملات التجارية كما يقبل من الآن أن تقوم بأي عمل من أعمال الشرطة في البر والمياه المغربية .

الفصل ٣ ـ تتعهد حكومة الجمهورية بأن تعضد الجلالة الشريفة تعضيدا مستمرا ضد كل خطر قد يهدد شخصه أو عرشه أو يعرض للخطر طمأنينة ولايته ويقدم مثل هذا التعضيد لولي العهد ومن يخلفونه .

الفصل ٤ ـ أن التدابير التي يقتضيها نظام الحماية الجديد يشرعها ـ باقتراح الحكومة الفرنسية ـ صاحب الجلالة الشريفة أو السلطان التي يفوض لها

1 – مؤلف مجهول، **المغرب الأقصى (مراكش)**...،المرجع السابق، ص ص62-63.

في ذلك وكذلك الشأن فيما يرجع للقرارات الجديدة أو تعديل القرارات الموجودة .

الفصل ٥ ـ سيمثل الحكومة الفرنسية لدى الجلالة الشريفة مندوب مقيم عام بيده جميع سلطات الجمهورية بالمغرب وهو الذي يسهر على تنفيذ هذه المعاهدة .

وسيكون المندوب المقيم العام الوسيط الوحيد للسلطان لدى الممثلين الاجانب وفيما يجريه هؤلاء الممثلون من علاقات مع الحكومة المغربية وسيكلف على الأخص بجميع المسائل التي تهم الأجانب في الامبراطورية الشريفة .

وستكون له سلطة المصادقة والاذن بالنشر باسم الحكومة الفرنسية لجميع المراسيم التي تصدرها الجلالة الشريفة .

الفصل ٦ ـ يكلف موظفو فرنسا الدبلوماسيون والقنصليون بتمثيل وحماية الرعايا المغاربة ومصالحهم في الخارج .

ويتعهد جلالة السلطان بأن لا يبرم أي اتفاق ذي صبغة دولية قبل موافقة حكومة الجمهورية الفرنسية .

الفصل ٧ ـ ستتفق فيما بعد حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة الجلالة الشريفة على وضع أسس لاعادة تنظيم مالي يحترم الحقوق المخولة لأصحاب سندات القروض العمومية المغربية ويسمح بضمان التزامات الخزينة الشريفة وباستخلاص موارد الامبراطورية بكيفية مضمونة .

الفصل ٨ ـ يلتزم صاحب الجلالة الشريفة بأن لا يبرم في المستقبل مباشرة أو غير مباشرة أي قرض عمومي أو خصوصي أو يخول بأي صورة من الصور أي امتياز بدون اذن الحكومة الفرنسية .

الفصل ٩ ـ ستقدم هذه المعاهدة للمصادقة عليها من لدن حكومة الجمهورية الفرنسية وتسلم وثيقة تلك المصادقة لجلالة السلطان في أقصر أجل ممكن .

وبموجبه حرر المفوضان أسفله هذه المعاهدة وذيلاها بطابعيهما .

وحرر بفاس في ٣٠ مارس ١٩١٢ (١١ ربيع ١٣٣٠)

الامضـــاءان

قرأه ووقع عليه ريبـــو ـ عبد الحفيظ

الملحق رقم 04: نص ظهير 16 ماي 1930[1]

حمد لله وحده.

طابع سيدي محمد سيدي بن يوسف

يصبح بموجبه قانونيا مطابقا للأصول المرعية سير شؤون العدلية الحالي في القبائل ذات العوائد البربرية التي لا توجد فيها محاكم مكلفة بتطبيق القواعد الشرعية.

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أنه حيث أن والدنا المقدس بالله السلطان مولاي يوسف قد أصدر ظهيرا شريفا مؤرخا في 20 شوال عام 1332 الموافق 11 شتنبر سنة 1914 يأمر فيه باحترام ومراعاة النظام العرفي الجاري العمل به في القبائل التي استتب الأمن فيها وذلك حبا في مصلحة رعايانا واطمئنان دولتنا الشريفة.

وحيث قد صدر للغرض نفسه ظهير شريف مؤرخ في 19 شوال عام 1340 الموافق 15 يونيو سنة 1922 بتأسيس قواعد خصوصية متعلقة بتفويت العقارات للأجانب بالقبائل ذات العوائد البربرية التي لا توجد فيها محاكم مكلفة بتطبيق القواعد الشرعية . وحيث أن قبائل عديدة قد أدرجت منذ ذلك الحين بطريقة قانونية من طرف وزيرنا الصدر الأعظم في عدد القبائل التي ينبغي احترام ومراعاة نظامها العرفي.

وحيث أنه أصبح الآن من المناسب تعيين الشروط الخصوصية التي ينبغي اتباعها في مباشرة العدلية والقضاء بين من ذكر مع احترام العوائد المذكورة أصدرنا أمرنا الشريف بما يأتي:

الفصل الأول : إن المخالفات التي يرتكبها المغربيون في القبائل ذات العوائد البربرية بإيالتنا الشريفة والتي ينظر فيها القواد في بقية نواحي مملكتنا السعيدة يقع زجرها هناك من طرف رؤساء القبائل.

وأما بقية المخالفات فينظر فيها ويقع زجرها طبق ما هو مقرر في الفصلين الرابع والسادس من ظهيرنا الشريف هذا.

الفصل الثاني : إنه مع مراعاة القواعد المتعلقة باختصاصات المحاكم الفرنسوية بإيالتنا الشريفة فإن الدعاوي المدنية أو التجارية والدعاوي المختصة بالعقارات أو المنقولات تنظر فيها محاكم خصوصية تعرف (بالمحاكم العرفية) ابتدائيا أو نهائيا بحسب الحدود (المقدار) يجري تعيينها بقرار وزيري. كما تنظر

1 – عبد المطلب الزيزاوي، المرجع السابق، ص ص 14-16.

المحاكم المذكورة في جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية أو بأمور الإرث وتطبق في كل الأحوال العوائد المحلية.

الفصل الثالث : إن استئناف الأحكام الصادرة من طرف المحاكم العرفية يرفع أمام محاكم تعرف بالمحاكم العرفية الاستئنافية وذلك في جميع الأحوال التي يكون فيها الاستئناف مقبولا.

الفصل الرابع: إن المحاكم الاستئنافية المشار إليها تنظر أيضا في الأمور الجنائية ابتدائيا ونهائيا بقصد زجر المخالفات المشار إليها في الفقرة الثانية من الفصل الأول أعلاه وكذلك زجر جميع المخالفات التي يرتكبها أعضاء المحاكم العرفية التي يطوق باختصاصاتها الاعتيادية رئيس القبيلة.

الفصل الخامس: يجعل لدى كل محكمة عرفية ابتدائية أو استئنافية مندوب مخزني مفوض من طرف حكومة المراقبة بالناحية التي يرجع إليها أمره ويجعل أيضا لدى كل واحدة من المحاكم المذكورة كاتب مسجل يكون مكلفا أيضا بوظيفة موثق.

الفصل السادس : إن المحاكم الفرنسوية التي تحكم في الأمور الجنائية حسب القواعد الخاصة بها لها النظر في زجر الجنايات التي يقع ارتكابها في النواحي البربرية مهما كانت حالة مرتكب الجناية.

ويجري العمل في هذه الأحوال بالظهير الشريف المؤرخ في 12 غشت سنة 1913 المتعلق بالمرافعات الجنائية.

الفصل السابع : إن الدعاوي المتعلقة بالعقارات إذا كان الطالب أو المطلوب فيها من الأشخاص الراجع أمرهم للمحاكم الفرنسيي المذكورة، تدخل في إختصاص هذه المحاكم.

الفصل الثامن : إن جميع القواعد المتعلقة بتنظيم المحاكم العرفية وتركيبها وسير أعمالها تعين بقرارات وزيرية متوالية تصدر بحسب الاحوال، ومهما تقتضيه المصلحة، والسلام.

وحرر بالرباط في 7 ذي الحجة عام 1348 الموافق 16 ماي 1930 سجل هذا الظهير الشريف في الوزارة الكبرى بتاريخ 17 حجة عامه الموافق 16 مايو سنته.

محمد المقري.

اطلع عليه وأذن بنشره، الرباط في 23 مايو سنة 1930

الكومسير المقيم العام. لوسيان سان.

الملحق رقم 05: إستقبال الثعالبي بعد النفي 1937[1]

يتوسط الصورة الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي إثر عودته ويظهر على يمينه الزعيم الحبيب بورقيبة (جويلية 1937)

1 – مجموعة مؤلفين، **تونس عبر التاريخ**...، المرجع السابق، ص109.

الملحق رقم 06: صورة لعلال الفاسي[1]

الملحق رقم 07: صورة لعبد العزيز الثعالبي[2]

1 – عبد الحق عزوزي، **المرحوم علال الفاسي نهر من العلم**...، ص346

2 – الجغام حسن أحمد، المرجع السابق، ص1.

الفهـــــارس

فهرس الأعلام

الإسم	الصفحة
أ	
أبوشعيب الدكالي	69،79
أبي الهدى أفندي (الصيادي)	46
أحمد الريسولي	67
أحمد السقا	10،56
أحمد الصافي	41،60
أحمد الهيبة	68
أحمد باشا	15
أحمد بلافريج	72،75،76،86،89،90
أحمد مكوار	87،89
إسماعيل الصفاتحي	40
إفريقيا الشمالية	16
الأمير عبد القادر الجزائري	19،36
أوجين آتيين	19
ب	
الباي محمد الناصر	41،57،60
بحري قيقة	60
بشير صفر	9،17،45،60
ج	
جمال الدين الأفغاني	29،36،37،50،52،82،95

الجنرال فرانكو	75
الجنرال نوجيس	90
ح	
الحبيب بورقيبة	42،43،60،61
حسن أبوعياد	85
حسن قلاتي	58
حمزة الطاهري	87
خ	
خير الدين التونسي	15،17،45،7
خير الدين مصطفى	17
س	
السلطان عبد الحفيظ	20،21،28،66،67،93
السلطان عبد العزيز	20
السلطان محمد الخامس	75،87
سليمان نامق باشا	46
ش	
الشادلي القصطلي	59
الشاذلي خير الله	42،60
الشاذلي درغوث	9،
شكيب أرسلان	70
الشيخ سالم بوحاجب	9،17،37،45
الشيخ سيدي حسين بن حسين	45

الشيخ ماء العينين	68
الشيخ محمد ابن الخوجة	45
الشيخ محمد بيرم الخامس	36،37
ع	
عائشة المرنيسة	78
عبد الخالق الطريس	75
عبد الرحمان الثعالبي	44
عبد الرحمان الكواكبي	52
عبد السلام بنونة	74،86،87
عبد العزيز ادريس	78
عبد العزيز الثعالبي	9،10،11،38،40،41،42،43،44،45،46، 47،48،49،50،51،52،53،54،55،56،57 58،59،60،61،62،63،64،95،96،
عبد الكريم الخطابي	68
عبد اللطيف الصبيحي	73
عبد الواحد الفاسي	77
علال الفاسي	74،75،76،77،78،79،80،81،82،83،84، 85،86،87،88،89،91،92،93،95،96
علي باشا حانبه	9،39،40،47،54
علي بن خليفة	35
علي بن عبد الله المنجوب	77
علي كافي	59
عمر بن عبد الجليل	74،90

عمر بن عبد الجليل	78
ف	
فرحات بن عياد	58،59
ل	
لالة راضية لمسفر	77
لوسيان سان	58
لويس التاسع	61
ليوتي	22،67،71
م	
محمد الحبيب	42،58،60،63
محمد السنوسي	9،17،37
محمد الصادق باي	17،34،7
محمد الفاسي	78
محمد الفاضل	52
محمد المكي الناصري	75
محمد باشا حانبه	9،40،59
محمد بن العربي العلوي	69،79،92
محمد بن عبد الرحمان	19
محمد بن عبد القادر الفاسي	77
محمد حسن الوزاني	74،75،86،89،90
محمد عبد الكريم الخطابي	22،67،68،69،78،85،95
محمد عبدو	29،37،38،50،52،95

محمد مزيان التلمساني	40
محمود الماطري	60
محيي الدين القليبي	59،60
المختار السوسي	85
مصطفى بن إسماعيل	8،
مصطفى خزندار	7،
المنتصر بالله	61
ميلراند	42
ن	
نيكولاي تشاوسيسكو	81
هـ	
الهاشمي الفيلالي	78
و	
ويلسن	55

2.فهرس الأماكن

الأماكن و البلدان	الصفحة
أ	
إسبانيا	19،20،21،22،24،66،67،68،69،86،92،93
الأستانة	40،46،47،48،50،60
أغادير	21
ألمانيا	20،21،40
أوربا الغربية	،7
أوروبا	25،26،34،36
إيسلي	19
إيطاليا	20
ب	
باردو	34،38
باريس	55،58،63،90،92
بجاية	44،46
بريطانيا	20
بغداد	60
بنغازي	46
بوخاريست	81
بورسعيد	69
ت	

تطوان	67،70،78،79،92
تونس	،7،8،9،10،11،13،14،15،16،17،18،19،31،34،35،36،37،38 39،40،42،44،45،47،46،48،49،52،53،54،56،57،58،60،61 62،63،64،66،95
ج	
جامع الزيتونة	،9،16
الجزائر	7،8،19،27،34،44،46،47،54،66
الجزيرة الخضراء	92
جزيرة ريونيون	22،69
جزيرة كريت	46
الجنوب التونسي	8
جنيف	40
خ	
الخميسات	90
د	
الدار البيضاء	71،89،92
الدول الأوربية	،11،13
الدولة العثمانية	40
ر	
الرباط	20،21،72،73،75،76،78،79،81،86،87،90
الرديف	13
روسيا	20،55
روما	55

رومانيا	81
الريف الشمالية	22
س	
الساحل	8
سطيف	46
سلى	73
سنغفورا	48
سوسة	8
ش	
الشرق الجزائري	8،
ص	
صفاقس	8
الصين	47
ط	
طرابلس	35،39،46
طرابلس الغرب	7،54
طنجة	19،22،92
ع	
العراق	48
العرائش	21
غ	
الغابون	91،93

ف	
فاس	20،67،72،73،77،78،79،87،90،92
فرنسا	8،10،11،12،13،14،17،19،20،21،22،23،24،26،30،31،34، 36،41،54،56،58،60،61،62،64،66،69،71،72،73،91،93
الفريق ليوتي	22
فلسطين	60
ق	
قابس	8
القاهرة	37،42،52
القسطنطينية	7
قسنطينة	46
القلعة	8
القيروان	8
ك	
الكونغو	21
ل	
ليبيا	54
م	
المتلوي	13
مدريد	86
مراكش	20،22،26،27،68،71
مرسيليا	47
مصر	47،48،50،52،60،69

المغرب الأقصى	19،20،21،22،23،24،25،26،27،28،29،30،31،47،54،66، 67،68،69،70،72،73،74،75،77،79،81،84،86،88،92،93،95
مكناس	20،90
موريتانيا	20،22
ن	
النمسا	20
هـ	
الهند	47،48
ي	
اليمن	47
اليونان	46

3.فهرس الصحف والمجلات

الصحف و المجلات	الصفحة
أ	
الإتحاد	18
الأطلس	89،93
الأمة	18
ب	
البرهان	58
البريد	18
البصرة	18
ت	
الترقي الطرابلسي	46
التونسي	9،18،39،53،54
ج	
جريدة إفريقيا	42
جريدة المغرب	93
ح	
الحاظرة	17
ر	
الرائد التونسي	17
ز	

الزهرة	17
س	
سبيل الرشاد	18
ص	
الصواب	42
صوت تونس	60
ع	
العروة الوثقى	37
العصر	42
العمل التونسي	43،60
العمل الشعبي	89،93
ف	
الفجر	57
ل	
لسان الشعر	18
الليبيرالي	18
م	
المبشر	18
المنار	37
المنار المصرية	52
المنتظر	18
الموسوعات	47

ن	
النهضة	42،58
و	
الوزير	42

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1.الثعالبي عبد العزيز، **سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية(132هـ / 750م)**، تح، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995.

2. الثعالبي عبد العزيز، **تونس الشهيدة**، تر، سامي الجندي، دار القدس ، لبنان، 1975.

3. الثعالبي عبد العزيز، **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1990.

4. الثعالبي عبد العزيز، **الرسالة المحمدية من نزول الوحي إلى وفاته صلى الله عليه وسلم**، دار إبن كثير، لبنان، 1997.

5. الثعالبي عبد العزيز ، **محاضرات التفكير الإسلامي والفلسفة**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1999.

6. الثعالبي عبد العزيز، **روح التحرر في القرآن**، تر، حمادي الساحلى، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985.

7. الفاسي علال، **المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى**، منشورات علال الفاسي، ط3، المغرب، 2010.

8. الفاسي علال، **الحركات الإستقلالية في المغرب العربي**، مطبعة النجاح الجديدة، ط6، المغرب، 2003.

9. الفاسي علال، **الحماية على مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية**، مطبعة الرسالة، مصر، 1948.

10. الفاسي علال، **الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها**، مطبعة الرسالة، المغرب، 1990.

11. الفاسي علال، **منهج الإستقلالية**، مطبعة الرسالة، المغرب، 1999.

12. الفاسي علال، **النقد الذاتي**، مطبعة النجاح الجديدة، ط8، المغرب، 2008.

13. الفاسي علال، **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1993.

14. الفاسي علال، **حديث المغرب في المشرق**، منشورات مؤسسة علال الفاسي، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، المغرب، 2012.
15. بورقيبة الحبيب، **حياتي آرائي جهادي**، نشريات كتابة الدولة للإعلام، تونس، 1978.
16. توفيق المدني أحمد، **حياة كفاح(مذكرات) في تونس 1905-1925**، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973.
17. القادري أبو بكر، **مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية 1930-1940**، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1993.
18. القادري أبو بكر، **مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية 1941-1945**، ج2، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1993.

ثانيا: المراجع

-المراجع بالعربية

19. أبو حمدان سمير، **خير الدين التونسي**، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1993.
20. أحمد ياغي إسماعيل، محمود شاكر، **تاريخ العالم الإسلامي والحديث والمعاصر: قارة إفريقيا**، ج2، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، 1993.
21. الإدريسي عبد القادر، **علال الفاسي قمة من المغرب ملامح من فكره ومعالم من سيرته**، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 2011.
22. الأمين سمير، **المغرب العربي الحديث**، تر: جميل داغر، دارالحداثة، لبنان، 1980.
23. أندري جوليان شارل، **إفريقيا الشمالية تسير (القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية)**، تر: المنجي سليم وآخرون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، 1976.
24. آندري جوليان شارل، **المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي**، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ت).
25. بن الخوجة محمد، **صفحات من تاريخ تونس**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986.

26. بن الفاضل بن عاشور محمد، **الحركة الأدبية والفكرية في تونس**، ط3، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.

27. بن ميلاد أحمد و مسعود إدريس محمد، **الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية 1882-1940**، بيت الحكمة، تونس،1991.

28. بوذينة محمد، **عبد العزيز الثعالبي، سلسلة مشاهير 120**، الشركة التونسية للنشر وتنمية الرسم، تونس، 1996.

29. بوذينة محمد، **مراثي المشاهير**، منشورات محمد بوذينة، شركة أوريس للطباعة، تونس، 1994.

30. البوعياشي أحمد، **حرب الريف التحريرية ومراحل النضال**، ج1، مطبعة دار أمل، المغرب، 1974.

31. بياض الطيب، **المخزن والضريبة والإستعمار ضريبة الترتيب 1880-1915**، إفريقيا الشرق، المغرب، 2011.

32. التشايجي عبد الرحمان، **المسألة التونسية والسياسة العثمانية(1881-1913)**، تر: عبد الجليل التميمي، دار الكتب الشرقية، تونس،1973.

33. التميمي الجليل، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي 1859-1882**، مؤسسة التميمي للبحث، تونس، 1995.

34. ثامر الحبيب، **هذه تونس**، مطبعة دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988.

35. الجغام حسن أحمد، **أمة إجتمعت في إنسان**، منتخبات نثرية وشعرية عن سيرة الشيخ عبد العزيز الثعالبي بأقلام أقطاب عربية، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1989.

36. الجناحي الحبيب، **الحركة الإصلاحية من إنتصاب نظام الحماية إلى بداية القرن العشرين**، حوليات الجامعة التونسية،ع6، تونس، (د.ت).

37. الجندي أنور، **عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1984.

38. حسني عبد الوهاب حسن، **خلاصة تاريخ تونس**، دار الكتب الشرقية، تونس، 1953.

39. خالد أحمد، **الزعيم عبد العزيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي**، الدار العربية للكتاب، تونس، 2001.

40. الخديمي علال، **المغرب في مواجهة التحديات الخارجية 1852-1947 دراسات في تاريخ العلاقات والدولية**، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006.

41. خرفي صالح ، **عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995.

42. خلف التميمي عبد المالك ، **أضواء على المغرب العربي**، (**رؤية عربية مشرقية**)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

43. الزيدي مفيد، **التاريخ العربي بين الحداثة والمعاصرة**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2011.

44. الزيزاوي عبد المطلب، **أوهام الظهير البربري السياق والتداعيات**، إصدارات فيديبرانت، المغرب، 2003.

45. السنوسي معني عبد الرزاق، **مسارات مائة شخصية فاعلة في تاريخ المغرب من القرن 19 إلى 21**، ج1، مطبعة ليموريا، المغرب،2010.

51. شاكر محمود، **التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر بلاد المغرب** ، ج14، المكتب الإسلامي، لبنان ، 1996.

46. الشريف الهادي، **تاريخ تونس من عصور ماقبا التارخ إلى الإستقلال**، تر: محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس للنشر، ط3، تونس، 1993.

47. ضريف محمد، **الأحزاب السياسية المغربية**، منشورات المجلة المغربية لعلم الإجتماع السياسي، المغرب، 1993.

48. العايب معمر، **مؤتمر طنجة المغاربي دراسة تحليلية**، دار الحكمة، الجزائر، 2010.

49. عبد السلام أحمد، **مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1987.

50. عبد الله الطاهر، **الحركة التونسية رؤية شعبية قومية جديدة**، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1975.

51. عبدالله عبد العزيز، **تاريخ المغرب العصر الحديث والفترة المعاصرة**،ج2، مكتبة السلام، المغرب، (د.ت).

52. عبيد أحمد، **التماثل والإختلاف في حركات التحرر المغاربية (الجزائر، تونس، المغرب)**، إبن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

53. العربي معريش محمد، **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول (1873-1894)**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1989.

54. العروي عبدالله، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1999.

55. عزوزي عبد الحق، **المرحوم علال الفاسي نهر من العلم الجاري والوطنية الخالدة**، منشورات مؤسسة علال الفاسي، المغرب، 2010.

56. العسلي بسام، **الأمير خالد والدفاع عن جزائر الإسلام**، دار النفائس، لبنان، 1984.

57. عطاءالله الجمل شوقي و عبد الرزاق إبراهيم عبدالله، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، دار الزهراء، المملكة العربية السعودية، 2002.

58. عطاءالله الجمل شوقي، **المغرب الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر،المغرب)** ، ط1، مكتبة الإنقلو المصرية، مصر، 1977.

59. العقاد صلاح، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر،تونس،المغرب الأقصى)**، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1993.

60. العلمي محمد، **علال الفاسي راد الحركة الوطنية**، مطبعة الرسالة، المغرب، (د.ت).

61. علي داهش محمد، **دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر**، مركز الكتاب الأكاديمي، العراق، (د.ت).

62. علي داهش محمد، **محمد بن عبد الكريم الخطابي صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الإستعمار**، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 2002.

63. عياش ألبير ، **المغرب والإستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية**، تر: عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، دار الخطابي للطباعة والنشر، المغرب،1985.

64. غلاب عبد الكريم، **تاريخ الحركة الوطنية المغربية من نهاية الحرب الريفية إلى إعلان الإستقلال**، الشركة المغربية للطبع والنشر، المغرب، 1976.

65. غلاب عبد الكريم، **ملامح من شخصية علال الفاسي**، الشركة المغربية للطبع والنشر، المغرب، (د.ت).

66. فاسي مصطفى، **البطل في القصة التونسية حتى الإستقلال**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

67. الفاطمي السلمي محمد، **علماء المغرب المعاصرين**، المطبعة الجديدة، المغرب، 1992.

68. القبلي محمد، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، المغرب، 2011.

69. قصاب أحمد، **تاريخ تونس المعاصر(1881–1956)**، الشركة التونسية للتوزيع،تر: حمادي الساحلي، تونس، 1986.

70. مالكي امحمد، **الحركة الوطنية والإستعمار في المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1993.

71. مجموعة مؤلفين، **المقاومة المغربية ضد الإستعمار 1904–1955، الجذور والتجليات**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أغادير المغرب، 1997.

72. مجموعة مؤلفين، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية**، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2008.

73. محجوبي علي، **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين**، ج2، منشورات الجامعة التونسية، تونس،1986.

74. محمد الفاضل إبن عشور، **الحركة الوطنية الأدبية الفكرية في تونس**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.

75. المرينسي عبد الحميد، **الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصيات الأستاذ علال الفاسي إلى أيام الإستقلال**، مطبعة الرسالة، المغرب، 1976.

76. مناصرية يوسف، **الحزب الدستوري التونسي1919–1934**، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1988.

77. مناصرية يوسف، **الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية**، (1934-1937)، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 2002.

78. مناصرية يوسف، **دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين**، دار هومه، الجزائر، 2014.

79. مؤلف مجهول، **المغرب الأقصى (مراكش) قبل الحماية عهد الحماية إفلاس الحماية**، دار الطباعة المحمدية، مصر، (د.ت).

80. يحي جلال، **العالم العربي الحديث والمعاصر الفترة الواقعة بين الحربين**، ج2، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2010.

81. يحي جلال، **المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرير والإستقلال**، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، 1966.

-المراجع الأجنبية

82.Collinn Armand , **Les partis politiques marocains Ed**, R.Rezette, Paris, 1955.

83. el Alami Mohamed, **Allal el Fassi Patriarche du nationalisme marocain**,Arrissala, Maroc, 1972.

84.Ganiage Jean, **Histoire contemporaine du magrébe de 1830 à nos jours**, Artheme Fayerd, France,1994.

85.kassab Ahmed, **Histoire de la Tunisie contemporaine**, Société Tunisiennede diffusion, Tunis, 1976 .

86. Mahjoubi Ali,**Les Origines du Mouvement National en Tunisie 1904–1934**, La presse de la Société Tunisienne des arts graphique ,Tunis, 1982.

ثالثا: المجلات

87. إبن باديس الحميد، مجلة الشهاب، ألمج13، ج7،(1936-1937)، دار الغرب الإسلامي، لبنان،2011.

88. شرقاوي جواد محمد، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع7، مطبعة الرسالة، المغرب، 1984.

89. عادل أحمد، دورية كان التاريخية الإلكترونية، ع4، **دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2008**.

90. الفلاح العلوي محمد، مجلة أمل، العدد المزدوج 25-26، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 2002.

رابعا: الرسائل والأطروحات

91. بلقاسم محمد، **الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ جامعة الجزائر، 1994.

92. خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر (1899-1983)**، أطروحة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجزائر 2013.

93. رحاي محمد ، **الأبعاد الثقافية والسياسية في حركتي عبد العزيز الثعالبي و علال الفاسي دراسة تاريخية وفكرية مقارنة**، أطروحة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجزائر، 2005.

94. صحراوي نور الدين، **النفوذ الأوربي (الفرنسي، الإنكليزي، الإيطالي) في تونس 1857-1881**، أطروحة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجزائر، 2013.

95. طرفاوي أحمد، **عبد العزيز الثعالبي وبعض قضايا فكره، من خلال مؤلفاته**، أطروحة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجزائر،2012.

96. معزة عز الدين، **فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899-2000**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسنطينة، 2010.

97. يزير امحمد، **عبد العزيز الثعالبي وقضايا عصره(1876–1944)**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجزائر، 2011.

خامسا: الموسوعات والمعاجم

98. حجي محمد، **موسوعة أعلام المغرب**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986.

99. رضا كحالة عمر ، **معجم المؤلفين، ج2**، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1993.

100. الساحلي حمادي و الشنوفي منصف، **موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، المنظمة العربية للتربية والثقافة**، دار الجيل، لبنان،2005.

101. محفوظ محمد، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982.

الإهداء
الشكر والتقدير
المختصرات
مقدمة .....ص(أ-هـ)
الفصل الأول: الأوضاع العامة في تونس والمغرب في عصر الرجلين.....ص(7-32)
المبحث الأول: الأوضاع العامة في تونس.....ص(7-32)
1. الأوضاع السياسية في تونس.....ص(7-11)
2. الأوضاع الاقتصادية في تونس.....ص(11-14)
3. الأوضاع الاجتماعية في تونس.....ص(14-15)
4. الأوضاع الثقافية في تونس.....ص(15-18)
المبحث الثاني: الأوضاع العامة في المغرب الأقصى.....ص(19-31)
1. الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى.....ص(19-23)
2. الأوضاع الاقتصادية في المغرب الأقصى.....ص(23-26)
3. الأوضاع الاجتماعية في المغرب الأقصى.....ص(26-27)
4. الأوضاع الثقافية في المغرب الأقصى.....ص(28-31)
خلاصة الفصل.....ص(31-32)
الفصل الثاني: الفكر التحرري في تونس من خلال شخصية عبد العزيز الثعالبي.....ص(34-64)
المبحث الأول: الفكر التحرري في تونس.....ص(34-43)
1. فرض الحماية وردة الفعل الشعبية.....ص(34-36)
2. جذور الفكر التحرري في تونس.....ص(36-38)
3. تبلور النضال التحرري في الحركة الوطنية التونسية .....ص(38-43)
المبحث الثاني: عبد العزيز الثعالبي وإسهاماته في تحرير تونس.....ص(44-64)
1. النشأة والتكوين.....ص(44-49)
2. المنهج النضالي عند عبد العزيز الثعالبي.....ص(50-51)
3. دور ونشاط الثعالبي وإسهاماته في تحرير تونس.....ص(51-62)

موقف سلطات الحماية من نشاط عبد العزيز الثعالبي.....ص(62-64)
خلاصة الفصل.....ص(64)
الفصل الثالث: الفكر التحرري في المغرب الأقصى من خلال شخصية علال الفاسى.ص(66-93)
المبحث الأول: الفكر التحرري في المغرب الأقصى.....ص(66-76)
1. فرض الحماية وردة الفعل الشعبية.....ص(66-69)
2. جذور الفكر التحرري في المغرب الأقصى.....ص(69-71)
3. تبلور النضال التحرري في الحركة الوطنية المغربية.....ص(71-76)
المبحث الثاني: علال الفاسي وإسهاماته في تحرير المغرب الأقصى.....ص(77-93)
1. النشأة والتكوين.....ص(77-81)
2. المنهج النضالي التحرري عند علال الفاسي.....ص(82-84)
3. دور ونشاط علال الفاسي وإسهاماته في تحرير المغرب الأقصى.....ص(84-91)
موقف فرنسا من نضال علال الفاسي.....ص(91-93)
خلاصة الفصل.....ص(93)
خاتمـــــــــــة.....ص(95-96)
الملاحـــــــــق.....ص(98-105)
الفهارس.....ص(107-119)
1.فهرس الأعلام.....ص(107-111)
2.فهرس الأماكن.....ص(112-116)
3.فهرس الصحف والمجلات.....ص(117-119)
المصادر والمراجع.....ص(121-129)
4.الفهرس العام.....ص(130-131)